
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
نقطة الضعف
127
د. نبيل فاروق
www.liilas.com/vb3
المؤسسة العربية الحديثة



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

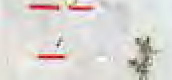
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

127

نقطة الضعف

- أين اختفى (أدهم صبرى) ، بعد الأحداث العنيفة فى (كوماندا) ؟!
- ما السر الذى تخفيه (كلارا فلورانس) ، وما حقيقة شخصيتها الغامضة ؟!
- ترى هل يظهر (رجل المستحيل) مرة أخرى ، أم تهزمه إلى الأبد (نقطة الضعف) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .





العدد القادم : الصحوة

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - مفقود..

تراجع مدير المخابرات ببطء فى مقعده، داخل حجرة الاستجوابات الخاصة، فى الطابق الثانى من مبنى الأمن القومى، داخل جهاز المخابرات العامة المصرية، وتابع ببصره فى اهتمام امرأة شابة، تلفت إلى المكان بخطوات ثابتة وقامة ممشوقة، على الرغم من تلك الضمادات التى تغطى ذراعها اليسرى، المعلقة برباط نظيف إلى عنقها، ثم توقفت أمام مكتبه، وقفة عسكرية صارمة، ورفعت يدها بالتحية، قائلة بصوت قوى:

- المقدّم (نادية سيف الدين) فى خدمتك يا سيدى.

أشار إليها المدير بيده، قائلاً بلهجة هادئة، تخفى ذلك البركان المستعر فى أعماقه:

- نحن لا نستخدم هذه الأساليب العسكرية هنا أيتها المقدّم .. أفرغى عقلك من ذكريات فترة عملك القديمة، فى صفوف الجيش الإسرائيلى، وتعايشى مع وضعك الجديد بيننا.

قالت فى حزم :

- سأبذل قصارى جهدى يا سيدى .

تطلع إليها المدير لحظة فى صمت ، ثم لم يلبث أن أشار إلى مقعد يواجه مكتبه ، قائلاً بنفس الهدوء ، وبأسلوب حاول أن يخفف به من توتر الموقف :

- اجلسى يا (نادية) .

مخاطبته لها باسمها مجردًا ، أزالت بالفعل شيئًا يسيرًا من توترها ، وهى تجلس على المقعد ، وتتطلع إليه فى ترقب متسائل ، إلا أنه لم ينبس بحرف واحد ، وإنما أشار إلى مساعده الأول ، الذى سألها ، بلهجة عجز عن التحكم فى هدوء نبراتها :

- ما الذى حدث بالضبط فى (كومانا) ؟!

سرت فى جسدها قشعريرة باردة ، عندما ذكر اسم المدينة الفنزويلية ، وقفزت إلى ذهنها عاصفة من الذكريات ، نفضت رأسها لتلقيها عنها ، أو لتعيد ترتيبها على نحو أكثر وضوحًا ، وهى تجيب :

- كان الأمر أشبه بجحيم حقيقى .

قالتها ، والتقطت نفسًا عميقًا ، وعقلها يستعيد ما حدث هناك ..

فى قلب الأدغال ..

أدغال (كومانا) ..

لقد هبطت فى قلب الأدغال ، على مسافة قريبة من قاعدة إطلاق الصاروخ (سكاى آى) (م و - ٢٢) ، المعدّ لنسف القمر المصرى فى مداره ..

كانت مهمتها أن تقوم بهجوم خلفى ، يؤازر (أدهم) ، فى انقضاضته الرئيسية على القاعدة ..

وكان المفترض أن تكون لديها نصف ساعة كاملة لهذا ..

إلا أنها لم تفعل ..

لقد واجهت ثلاثة من الإسرائيليين ، بمدافعهم الآلية ، فى قلب الأدغال ..

واستدارت لتواجههم ..

وأطلقوا مدافعهم ..

وأطلقت مدفعها ..

وفى نفس اللحظة التى أطاحت فيها بهم ، وشعرت برصاصتهم تخترق ذراعها اليسرى ، دوى الانفجار ..

انفجار رهيب .. عنيف ..

انفجار زلزل المنطقة كلها ، وكاد يصم أذنيها ..(*)

و ...

« إنك لم تجيبي سؤالي أيتها المقدم .. »

رفعت عينيها في توتر إلى مساعد المدير ، الذي أضاف في صرامة :

ـ ما الذي حدث في (كوماتا) ؟!

مرت لحظة من الصمت ، وهي تتطلع إلى عينيه مباشرة ، قبل أن تجيب في خفوت ، حمل نبرة عصبية واضحة :

ـ لست أدري .

انعقد حاجبا مدير المخابرات في شدة ، وهو يعتدل في مجلسه ، ويقول في صرامة غاضبة :

ـ ماذا تعنين بأنك لا تدرين ؟!

هزت كتفيها في توتر ، مجيبة :

ـ عندما اعترض ذلك الطيار مسار الصاروخ ، كان الانفجار عنيفًا ، حتى إنني سقطت أرضًا .. وأظنني قد فقدت الوعي بضع لحظات ، فلقد نهضت بغتة ، لأجد

(*) راجع قصة (ساعة الصفر) .. المغامرة رقم (١٢٦)

أن دوي الانفجار قد تلاشى تمامًا ، ووجدتني غارقة في صمت غير طبيعي ، في قلب أدغال (كوماتا) ، حتى إنني تصورت لحظة أنني قد أصبت بالصمم ، من شدة الانفجار .

سألها المدير :

ـ وماذا فعلت بعدها ؟!

صمتت لحظة ، عضت خلالها شفتيها في مرارة ، قبل أن تجيب :

ـ هرعت إلى موقع الإطلاق ، وقلبي يكاد يسقط صريعًا ، من شدة خوفي وقلقي .

سألها المساعد هذه المرة :

ـ لماذا ؟!

أجابته في سرعة وعصبية :

ـ لأن العميد (أدهم) كان هناك .

انعقد حاجبا المدير ومساعده ، وهما يتبادلان نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يسألها الأول في صرامة :

ـ وكيف يمكنك الجزم ؟!

هزت كتفيها مرة أخرى ، قبل أن تجيب في عصبية :

ـ الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء .. لقد كانت مهمته أن يمنع إطلاق الصاروخ (مسكاي آي)

(م و - ٢٢) . وكلنا يعلم أنه لن يتراجع عن هدفه قط ، حتى ولو كانت حياته هى الثمن .

تبادل الرجلان نظرة أخرى ، ثم غمغم المساعد :

- السؤال هو : هل وجد الوقت الكافى لهذا ؟!

حدقت فى وجهه بدهشة مستنكرة ، قائلة :

- ماذا تعنى ؟! .. ألم تنته المهمة بنجاح ؟!

أجابها فى صرامة :

- بلى ، ولكن كل شيء بدا عجيبًا ! الصاروخ انطلق قبل موعده بنصف ساعة كاملة ، على الرغم مما يحيط بهذا من ضرورة لتعديل المسار ، وخفض لاحتمالات النجاح ، ثم إن طيارنا اضطر للتضحية بحياته ، لإيقاف انطلاق الصاروخ ، مما يعنى أن العميد (أدهم) لم يفلح فى هذا .

قالت فى غضب :

- أنا واثقة من أنه وراء هذا النصر .

عاد الرجلان يتبادلان نظرة شديدة التوتر ، ثم لم يلبث مدير المخابرات أن نهض من خلف مكتبه ، وراح يتحرك فى الحجرة بشيء من العصبية ، قبل أن يتوقف أمام نافذة صغيرة ، تطل على الفناء الداخلى

لمبنى الأمن القومى ، ويتطلع عبرها لدقيقة كاملة ، ثم يلتفت إليها ، قائلاً فى صرامة شديدة :

- أين (ن - ١) أيتها المقدم ؟!

انتفض جسدها كله مع السؤال ، وأشارت بيدها لتجيب ، إلا أن الكلمات احتبست فى حلقها ، ولم تنجح سوى أحرف معدودات فى الفرار من بين شفتيها ، فبدت أشبه بهمهمة متحشرجة ، جعلت المساعد يقول فى صرامة شديدة :

- نريد جوابًا واضحًا أيتها المقدم .

بدا صوتها مختنقًا متحشرجًا ، وهى تجيب :

- ابحث عنه لدى غيرى إذن .

قال المدير فى غضب :

- أى قول هذا ؟!

أجابت فى حدة أدهشت الرجلين :

- أخبرتكما أننى قد هرعت إلى قاعدة الإطلاق ، فور استعادتى لوعيى ، وعندما بلغتها ، كان الدمار رهيبًا مخيفًا ، حتى إن كل ذرة فى كيانى راحت ترتجف بشدة ، ووجدت نفسى أقفز بين الحطام ، وأقلب فيه بذعر ، وأنا أصرخ باسمه .

بدا الاهتمام على الرجلين ، والمساعد يسألها :

- وهل عثرت على شىء ؟!

هزت رأسها فى حدة ، قائلة :

- لم يكن باستطاعتى هذا .. الحطام كان ينتشر فى كل مكان ، والدخان والنيران كانا يعميان عينى ، ويغشيان بصرى ، ويخنقان أنفاسى .

سألها المدير :

- ومتى وصل فريق الإنقاذ الفنزويلى ؟!

أجابت :

- بينما كنت أبحث بين الحطام .. لقد سمعت صوت الهليوكوبتر الخاصة بهم ، قبل أن أصل إلى القاعدة بلحظات ، ولكنهم استغرقوا بعض الوقت ، حتى ظهروا فى الموقع نفسه ، مع أجهزة الإطفاء ومعدات الإنقاذ .

سألها المساعد فى اهتمام :

- ولماذا استغرقوا هذا الوقت ؟!

هزت كتفيها ، مجيبة :

- ليجدوا موقعًا للهبوط بالتأكيد .

قال المدير :

- فريق الإنقاذ الفنزويلى ينفى قولك هذا أيتها

المقدم ، ويؤكد أن الهليوكوبتر الخاصة بهم قد هبطت فور وصولها إلى الموقع ، إذ إنها مؤهلة للهبوط فى المناطق الوعرة .

قالت فى حدة :

- مستحيل ! .. لقد سمعت الهليوكوبتر بنفسى ، وهى ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، فسألها المساعد :

- وهى ماذا ؟!

رفعت عينيها إليه فى عصبية ، مجيبة :

- وهى تبتعد .

تبادل الرجلان نظرة أخرى متوترة للغاية ، قبل أن يقول المدير :

- ماذا تعنين بالضبط ؟!

نهضت من مقعدها ، من فرط الانفعال، وهى تقول:

- أعنى أن الهليوكوبتر التى سمعت أزيزها ، وأنا أهرع إلى الموقع ، كانت تبتعد .. يا إلهى ! كيف لم أنتبه إلى هذا ؟! لقد كانت تبتعد .

عاد المدير يجلس خلف مكتب الاستجواب ، ويتطلع

إليها بعينين متوترتين وأعصاب مشدودة ، قبل أن يسألها فى صرامة :

- لماذا لم تعلنى هذا من قبل ؟!

أجابت فى انفعال :

- لم أنتبه إليه إلا فى هذه اللحظة .. الانفجار كان يدير رأسى ، حتى إننى تصورت فى البداية أنها الهليوكوبتر الخاصة بنا ، ثم تصورت بعدها ، عند وصول فريق الإنقاذ ، أنها كانت تخصهم .

سألها المساعد فى توتر :

- كانت تخص من إذن ؟!

هزت رأسها فى عصبية ، مجيبة :

- لست أدرى .. لم أحاول التفكير فى حينه .

هز المدير رأسه بدوره ، قائلاً فى مرارة :

- ليتك فعلت .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، يحمل كل توتر الدنيا ، قبل أن يتابع :

- لقد قلب فريق الإنقاذ الفنزويلى المكان كله ، وعثر على عدد من الجثث والضحايا ، دون أى أثر لرجلنا (ن - ١)

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

- العقيد (أدهم) كان مصابًا بشدة ، منذ قتالنا العنيف فى (لارناكا) ، وكان فى الموقع نفسه ، عندما حدث الانفجار ، ومن المحتمل أن ..

قاطعها المدير :

- لم يكن له أدنى أثر فى المكان أيتها المقدّم .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وهى تتمتم :

- أعنى أنه من المحتمل أن ..

قاطعها مرة أخرى فى توتر :

- كل الأشلاء وعينات الدم تم فحصها .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم متوتر :

- إنه ليس هناك .

ثم زفر فى عصبية ، مستطردًا :

- وهذا أكبر لغز واجهنا ، منذ عمله معنا .

قالت بصوت أقرب إلى البكاء :

- يقولون إنه قد اختفى ذات يوم لعام أو يزيد .

هز المدير رأسه ، قائلاً :

- كان لذلك أسبابه حينذاك .

قالت فى صوت خافت :

- وربما كان لهذا أسبابه أيضًا .

وافقها المدير بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .
ثم عاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يضيف :
- السؤال هو : أية أسباب هى ؟!
ونهض مرة أخرى من خلف مكتبه ، متابعًا فى توتر ملحوظ :
- عندما قمنا بتحليل وفحص الدماء والأشلاء ، التى تناثرت فى الموقع ، عثرنا على عينة بالفعل ، من دماء (ن - ١) ، فى مبنى التوجيه الرئيسى ، فى قلب القاعدة ، والذى تعرض لأقل تدمير ممكن ، نظرًا لصنعه من مادة مقاومة للحريق والانفجارات ، كوسيلة لحماية أجهزة التوجيه الأساسية للصاروخ (سكاى آى) (م و - ٢٢) .. وما عثر عليه فريقنا الخاص هناك ، بعد كل ما أفسده الفنزويليون ، يوحى بأن (ن - ١) قد أصيب إصابات خطيرة وقاتلة داخل ذلك المكان ، وقبيل الانفجار مباشرة .. والمفترض أن إصاباته هذه تمنعه من التحرك بطبيعته ، فماذا عن خروجه من المكان ، واختفائه وسط أدغال (كومانا) ؟! ولو أن فريق الإنقاذ الفنزويلى قد وصل متأخرًا ، لقلنا أو افترضنا أن بعض حيوانات الغابة المفترسة

قد تسللت إلى الموقع ، والتهمت جثته ، ولكن هذا أمر غير مقبول تمامًا ، من الناحيتين ، المنطقية والعملية ، فبعد انفجار كهذا ، ستنكمش كل حيوانات الأدغال ، كرد فعل غريزى ، وستختفى تمامًا لبعض الوقت ، حتى إنها ستنسى أمر الغذاء ، إلى أن يذهب فزعها ، كما أن الوقت بين الانفجار ووصول فريق الإنقاذ ، كان أقصر من أن يحدث فيه أمر كهذا .
سألته بصوت مرتجف :
- أتعنى يا سيدى أننا قد فقدنا سيادة العميد (أدهم صبرى) إلى الأبد ؟! أمن الممكن أن تعنى هذا يا سيدى ؟!
انعقد حاجبا مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يتطلع إليها ، دون أن ينبس ببنت شفة ..
وفى أعماقه ، تردد السؤال بعنف ..
أمن الممكن بالفعل أن يكون هذا هو الجواب ؟!
هل فقدت المخابرات المصرية (أدهم صبرى) إلى الأبد ؟!
هل ؟!
وعلى الرغم من أن كل ذرة فى كيانه قد استنكرت هذا .

وبمنتهى الشدة ..
إلا أن الظروف والملابسات ، التى تحيط بالموقف كله ، كانت توحى بأن هذا ما حدث ..
للأسف ..
والأسف الشديد ..
فكل محاولات البحث والتنقيب أسفرت عن لاشىء ..
لقد اختفى (أدهم صبرى) من موقع الأحداث ..
بل ومن خريطة الأحداث كلها ..
وانمحى كل أثر له تمامًا ، حتى إنه لم يعد يتبقى سوى توقيع الأوراق النهائية ..
تلك الأوراق السوداء ، التى تعلن أن العميد (أدهم صبرى) ، بكل ملفه الحافل بمغامرات لا حصر لها ..
وبعمليات ومهام يشيب لهولها الولدان ..
قد تم اعتباره مفقودًا ..
وإلى الأبد ..

* * *

« مستحيل ! إنها خدعة أخرى من المصريين !! »
دقّ (تيودور زيلمان) .. مدير (الموساد) سطح

مكتبه بقبضته فى حدة ، وهو يقرأ التقرير الوارد من (فنزويلا) ، قبل أن يلقيه فى وجه مساعده (بيكويك) فى حدة ، وينهض من خلف مكتبه ، مستطردًا فى حنق :
ـ لا يمكننى أن أصدق هذا أبدًا .. لقد خدعونا مرة ، ولن نسمح لهم بخداعنا مرة ثانية أبدًا .. إنهم يحاولون حماية رجلهم ، بإقناعنا أنه قد مات ، ولقى مصرعه فى قاعدة (كوماتا) .
سأله (بيكويك) فى حذر :
ـ يحاولون حمايته من ماذا يا سيدى ؟!
لوّح بذراعه فى غضب ، هاتفًا :
ـ منا .. من انتقامنا .. من ..
قاطعه (بيكويك) فى خفوت :
ـ من ماذا ؟!
انعقد حاجبا (زيلمان) ، وهو يدير الأمر فى رأسه مرة أخرى ..
نعم ..
مساعده على حق تمامًا ..
لماذا يفعل المصريون هذا هذه المرة ؟!

لماذا يتظاهرون بأن (أدهم صبرى) قد لقى مصرعه فى (كومانا) ؟!

ربما كان هذا منطقيًا ، عندما أصيب فى (لارناكا) ، واتخذ طريقه إلى (فنزويلا) ، فى محاولة إنقاذ القمر المصرى (نايل سات)

ولكنه ليس كذلك الآن ..

بأى حال من الأحوال ..

لقد انتهت العملية بنجاح ، بالنسبة لهم ، وأفسدوا خطة نسف قمرهم ..

ثم إن السلطات الفنزويلية كانت تؤازرهم ..

فلماذا يدعون مصرع رجلهم إذن ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كان من الممكن أن يضعوه تحت حمايتهم المباشرة ، بحراسة ورعاية الفنزويليين ، حتى يتم نقله بطائرة خاصة إلى (مصر) ، أو حتى إلى العاصمة (كراكاس) ، حيث يتم إسعافه وإنقاذه ، و..

ولكن مهلاً !

لمَ لا يكون هذا ما حدث بالفعل ؟!

لمَ لا ؟!

« هل بحثتم فى المستشفيات ؟! »

انطلق السؤال من بين شفتيه فى عصبية ، فأومأ (بيكويك) برأسه إيجابًا ، وقال :

- « هذا أول ما خطر ببال الرجال هناك يا سيدى .. أن يكون قد تم نقله إلى إحدى المستشفيات سرًا للعلاج ، ولكن جاسوسنا فى فرقة الإنقاذ الفنزويلية نفسها ، التى كانت أول من وصل إلى موقع الانفجار ، أكد لنا أن المصريين كادوا يصابون بالجنون ، عندما لم يعثروا على أدنى أثر لرجلهم وسط الحطام .

قال (زيلمان) فى عصبية غاضبة :

- هذا لا يعنى أنه قد لقى مصرعه .

قال (بيكويك) فى خفوت :

- الانفجار كان مروعًا ، ومن الطبيعى أن يتمزق البعض و ...

قاطعه فى صرامة :

المصريون ليسوا أغبياء .

قال مساعده فى سرعة :

- وهذا يعنى أنهم قد درسوا الأمر جيدًا ، قبل أن

يعلنوا مصرع (أدهم صبرى) .. معذرة .. قبل أن يعلنوا فقده .

انعقد حاجبا (زيلمان) فى شدة ، وهو يغمغم بلهجة متوترة ، لم تنجح حتى فى إقناعه هو :

- ما زلت لا أصدق هذا .

زفر مساعده فى توتر وضجر ، قبل أن يقول فى خفوت :

- وهل يصنع هذا فارقًا ، فى الوقت الحالى ؟!

أجابه (زيلمان) فى صرامة :

- بالتأكيد .

وعاد إلى مكتبه فى عصبية واضحة ، ليتابع بنفس الصرامة :

- بالنسبة لعملية ابنه على الأقل .

ارتفع حاجبا (بيكويك) فى دهشة ، وهو يقول :

- عجبًا ! وهل سنواصل الاحتفاظ به ؟!

أجابه فى حزم ، وهو يدق بقبضته على سطح مكتبه ثانية :

- ألم أقل لك : إن هذا سيصنع فارقًا ؟!

وتراجع فى مقعده ، متابعًا بمزيج من الحزم والصرامة والتوتر :

- وجود هذا الطفل فى حوزتنا ، هو الضمان الوحيد لنا ، فى مواجهة (أدهم صبرى) ، وفى قدرتنا على الإيقاع به ، فهو نقطة الضعف الكبرى ، التى تحيط بحياته كلها .. ولو أنه ما زال على قيد الحياة ، بوسيلة أو أخرى ، فسيصبح هذا الطفل مساويًا له تمامًا .. الأب أو الابن .. ورجل مثل (أدهم صبرى) لن يضحى بابنه قط ، حتى ولو دفع حياته ثمنًا له ، ولن يتردد لحظة واحدة فى مبادلته بنفسه ، حتى وهو يعلم أن وقوعه بين أيدينا يعنى نهايته حتمًا .

غمغم (بيكويك) :

- ليس بالضرورة .

انعقد حاجبا (زيلمان) فى غضب ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟!

هز (بيكويك) رأسه فى حذر ، مجيبًا :

- أعنى أنه كان فى قبضتنا مرتين ، وفى إحداهما كنا نتحفظ عليه داخل مقرنا هذا بالفعل[*]، وعلى الرغم من هذا فقد ..

(*) راجع قصتى (أرض العدو) و (اللمسة الأخيرة) .. المغامرتين رقمى ٩٣ و ١٢٤

قاطعه (زيلمان) فى صرامة غاضبة :

- لا ينبغى أن نسمح بحدوث هذا مرة أخرى .

وحمل وجهه كل أمارات الغضب والحدة ، وهو يضيف بحزم شديد :

- لذا فلن نضيع الفرصة ، ونتخلى عن نقطة ضعفه بين أيدينا ، حتى نحصل على جواب واضح ومباشر لسؤالين هامين .

وازداد انعقاد حاجبيه على نحو مخيف، وهو يكمل:

- ما حقيقة ما أصاب (أدهم صبرى) ؟! وأين هو بالضبط ؟!

وكان على حق تمامًا فى موقفه ..

فالسؤال الذى يعلو كل شىء الآن هو ماذا أصاب (أدهم صبرى) ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

* * *

٢ - لغز الألغاز ..

على الرغم من وجود (قدرى) داخل معمله الصغير ، منذ السادسة والنصف صباحًا ، على غير المعتاد ، إلا أن المكان بدا لـ (منى) خاليًا تمامًا ، وهى تدلف إليه فى التاسعة ، قبل أن يقع بصرها على (قدرى) ، الذى يجلس فى الركن صامتًا ساكنًا ، يخفى وجهه بين كفيه ، وجسده الضخم البدين يترجرج على نحو يوحى بانخراطه فى بكاء حار ..

وفى خطوات خافتة سريعة ، اقتربت منه (منى) ، ووضعت يدها على كتفه فى رفق مشفق ، وهى تتمتم باسمة ، فأدار عينيه المحمرتين المتورمتين إليها ، وهو يغمغم بصوت مختنق :

- صباح الخير يا (منى) .

كانت تشاركه احمرار العينين وتورمهما ، مع احتقان فى الوجه ، تزايد بشكل ملحوظ ، وهى تجلس إلى جواره ، متمتمة :

- أى خير ؟!

ثم سألته بصوت أقرب إلى البكاء :
- هل بلغتك الأخبار الأخيرة ؟!
أجابها فى عصبية :
- أتظنيننى أبكى على ليلاى ؟!
ثم عادت عيناه تدمعان ، وهو يضيف :
- إنه فى خطر حتمًا .. عجزهم عن العثور عليه يؤكد هذا .
أجابته فى حزم :
- ولكنه حى .
حدق فى وجهها بدهشة ، مغمغمًا :
- كيف عرفت ؟!
ثم أضاف بنفس العصبية :
- أهو نداء قلبك مرة أخرى ؟!
أجابته فى حدة :
- ولِمَ لا ؟! إننى أثق به كثيرًا .
ثم ابتعدت عنه فى توتر ، مستدركة :
- ثم إن هذا ليس السبب الوحيد .
خفق قلبه فى شدة ، وهو يسألها ، بصوت أقرب إلى الهمس ، على الرغم من كل ما يذخر به من انفعالات :

- ألديك أية معلومات ؟!
انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تجيب :
- لدى استنتاجات .
بدت عليه خيبة الأمل ، فتابعت فى سرعة :
- ترقى إلى مستوى الدلائل .
سألها فى لهفة :
- وما هى ؟!
صمتت لحظة أخرى ، ثم أشارت بسبابتها ، مجيبة :
- لم تعلن جهة واحدة فى العالم عن مسئوليتها عن مصرع (أدهم صبرى) .
سألها فى حيرة :
- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!
أجابت فى اهتمام :
- (أدهم) ليس بالشخص العادى ، وأية جهة فى العالم ، سواء أجهزة المخابرات ، أو حتى المنظمات الإجرامية ، ستشعر بفخر لا مثيل له ، لو أنها نجحت فى القضاء عليه ، ولن يمكنها الصبر على إعلان انتصارها هذا ، بأسرع وسيلة ممكنة ، وعلى الرغم من هذا فقد اختفى (أدهم) منذ أسبوع كامل ، دون كلمة واحدة ، من أية جهة منها .

بدا عليه الانفعال ، وهو يقول :

ـ استنتاج منطقى للغاية .

ثم رفع عينيه إليها ، مستطردًا :

ـ السؤال فى هذه الحالة إذن هو : أين (أدهم) الآن ؟!

صمتت بضع لحظات ، قبل أن تجيب فى حزم شديد هذه المرة :

ـ ما زال فى (فنزويلا) .

سأل بانفعال أكبر :

ـ وكيف أمكنك الجزم ؟!

أجابت فى حزم :

ـ منذ انفجار القاعدة ، والسلطات الفنزويلية تحيط دولتها بسياج قوى ، حتى تتم التحقيقات حول كيفية إنشاء مثلها ، فى قلب الأدغال ، دون أن يشعر أحد .. أو بمعنى أدق ، دون أن يبلغ أحد ، على الرغم مما يحتاجه هذا من جهد وحركة ونشاط وأموال طائلة .. ونظرًا لهذا ، فمن العسير أن تتم عملية إخراج (أدهم) عبر الحدود ، فى ظل هذه الظروف ، ومن المحتمل جدًا أنه ما زال هناك .

سألها (قدرى) فى قلق :

ـ وماذا عن تلك السيدة المجهولة ، التى كانت وراء اختطاف (جيهان) فى (نيويورك) ؟!

سألته متوترة :

ـ ماذا عنها ؟!

أجاب فى عصبية :

ـ يقولون إنها جزء من أحداث عملية قمر النيل ، فما الذى يمنع من كونها الجهة التى اختطفت (أدهم) ؟!

هزت رأسها ، قائلة :

ـ لا يوجد ما يمنع على الإطلاق .

وصمتت لحظة أخرى ، ثم أضافت فى حزم :

ـ بل هذا هو الاحتمال الأكثر ترجيحًا .

التقى حاجباه فى قلق عارم ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ستتضاعف مخاوفى ، إذ إن الاحتمالان الوحيدان فى ذهنى لهويتها ، هو أنها إما (كلوديا موريس) ، أو (سونيا جراهام)(*).

(*) راجع قصة (وجه الأفعى) .. المغامرة رقم ١٢١

وكلتاهما يمكن أن تظفر بـ (أدهم) ، دون أن تحاول إعلان هذا ، حتى لا تكشف أمر نفسها .

انتفض قلبها بين ضلوعها ، وهى تتمتم :

- استنتاج مخيف يا (قدرى) .

غمغم كالمصعوق :

- حقًا ؟!

ثم ازدرد لعابه فى صعوبة بالغة ، قبل أن يضيف :

- إذن فأنت تؤيدين هذه الفكرة ؟!

ارتجف جسدها مع صوتها ، وهى تجيب :

- أكثر مما تتصوَّر .

ثم التقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة أعصابها الثائرة ، قبل أن تضيف فى توتر :

- حتى إننى أتعجَّل السفر إلى (كراكاس)(*).

سألها بأنفاس مبهورة ، وقلبه يخفق على نحو عجيب :

- وهل ستفعلين ؟!

تطلعت إلى عينيه مباشرة ، مجيبة بكل حزم الدنيا :

(*) عاصمة (فنزويلا) .

- ماذا توقَّعت ؟!

حدق فى وجهها بضع لحظات فى انبهار ، قبل أن يسأل بصوت مبحوح :

- متى ؟!

أجابت فى حسم :

- حقيبتى معدَّة ، وتأشيرة دخولى إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) لا تزال صالحة ، والطائرة ستقلع إلى (نيويورك) فى منتصف الليل .

قال لاهثًا ، من فرط الانفعال :

- هناك خطوات طيران مباشرة الآن ، إلى (أمريكا الجنوبية) .

هزَّت رأسها نفيًا ، قائلة :

- هذا سيضطرنى للانتظار حتى مساء بعد الغد ، ولست أرغب فى إضاعة كل هذا الوقت ، فمن يدرى ؟! ربما كانت لكل دقيقة ثمنها .

غمغم :

- بالتأكيد .

أراد أن يضيف شيئًا آخر ، ولكن انفعاله غلبه ، فخفض عينيه لحظة ، ومسح دموعه بأصابعه ، قبل أن يرفع بصره إليها ثانية ، ويقول :

- هل تتوقعين العثور عليه هناك ؟!

صمتت بضع لحظات ، قبل أن تجيب :

- أتوقع العثور على طرف خيط على الأقل .

قالتها ، وانطلق عقلها يسبح هناك ..

فى أدغال (فنزويلا) ، التى لم ترها بعينيها قط ..

تلك الأدغال التى اختفى فيها أشهر رجل مخابرات فى العالم أجمع ، تاركًا خلفه لغزًا عجيبًا ..

لغز يحمل رقم واحد ، بين كل الألغاز ..

بلا منازع ..

* * *

« ضعى قدميك على الأرض يا سيدتى .. »

نطق كبير جراحى المستشفى الخاص بدونا (كارولينا) فى (نيويورك) العبارة ، وهو يلتقط يد (جيهان) ، فى محاولة لتشجيعها على مغادرة مقعدها المتحرك ، ولكنها ترددت فى توتر ، مغمغمة :

- ظهرى ما زال يؤلمنى ، وقدماى ثقيلتان ، و ...

ابتسم الطبيب ، وهو يقاطعها ، قائلاً :

- كل شىء على ما يرام .. العملية الجراحية تمت بنجاح ، وفحص الشريحة الإليكترونية ، المزروعة

فى نخاعك الشوكى ، يؤكد أن الأمور تسير كما توقعنا تمامًا ، وخبير الإليكترونيات الحيوية هنا ، وسيواصل فحص إشارات الشريحة ، عندما تبدأين خطواتك الأولى .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- لهذا فمن المحتم أن تكون هناك خطوات أولى .

ازدردت لعابها فى توتر وعصبية ، وعقلها يتساءل فى قلق بلا حدود : ترى هل سيمكنها حقًا أن تسير على قدميها مرة أخرى ؟!

هل سيمكنها أن تعود للعيش بصورة طبيعية ، بعد كل ما أصابها(*) ؟!

- هل ؟!

سرت قشعريرة باردة كالثلج فى عروقها ، وهى تتشبث بمسند مقعدها المتحرك ، وتدفع جسدها إلى الأمام ، وكل إرادتها تتجه إلى قدميها ، و ...

وانتفض جسدها كله فى انفعال جارف ..

لقد استجابت قدماها ..

(*) راجع قصة (وجه الأفعى) .. المغامرة رقم ١٢٦



سرت قشعريرة باردة كالثلج فى عروقها ، وهى تمسك بمسند مقعدها المتحرك ، وتدفع جسدها إلى الأمام ..

وتحركتا ..

وعلى نحو مدهش ..

ويالها من مفارقة عجيبة !

منذ أشهر قليلة ، كانت تسير ، وتجرى ، وتقفز ، وتركل ، وتقاتل ، دون أن يخطر ببالها لحظة واحدة ، أن الله (سبحانه وتعالى) قد منّ عليها بنعمة كبيرة بلا حدود ..

نعمة الحركة ..

لم يخطر ببالها هذا إلا الآن ، مع فرحتها الغامرة بخطوة واحدة ، أمكنها أن تقوم بها ، داخل حجرة فى مستشفى خاص ..

وبكل سعادتها وفرحها ، اغرورقت عيناها بالدموع ، وهتفت :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله ..

التفت كبير الجراحين إلى خبير الإليكترونيات الحيوية فى تساؤل قلق ، فارتسمت على شفتى هذا الأخير ابتسامة ، وهو يراقب شاشته ، ورفع إبهام يمناه بحركة تقليدية ، انتقلت بعدها ابتسامته إلى كبير الجراحين ، وهو يقول فى ارتياح :

- الآن فقط يمكننا أن نطمئن .

تفجرت دموعها ، وهي تهتف :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. كيف يمكنني أن أشكرك ؟! كيف يمكنني أن أشكركم جميعًا ؟!

اتسعت ابتسامة الرجل أكثر وأكثر ، وحملت حنانًا واضحًا ، وهو يجيب :

- لا شكر على واجب يا سيدتي .. كلنا أدينا عملنا ، وحصلنا على أجورنا بكل سخاء .. الوحيدان اللذان يستحقان الشكر هما دونا (كارولينا) وسنيور (أميجو) .

انعقد حاجبا دونا (كارولينا) ، التي تجلس صامتة في الركن منذ البداية ، وغمغمت في خفوت :

- ليس إلى هذا الحد .

التفتت إليها (جيهان) بامتنان شديد ، في حين تابع الطبيب في هدوء ، محاولاً التغلب على الانفعال في أعماقه :

- كل ما ينقصنا الآن يعتمد عليك وعلى إرادتك وصبرك وحدهما ، فاعتبارًا من اليوم سنبدأ برنامج علاج طبيعي وإعادة تأهيل ، حتى يمكن أن تستعيدي قدرتك على المشي الطبيعي ، خلال شهر واحد .

سألته في لهفة :

- وماذا عن العودة إلى العمل ؟!

تلاشت ابتسامته مع سؤالها ، وخفض عينيه لحظة ، خفق خلالها قلبها في عنف ، وهي تقول :

- ما الذي يعنيه هذا ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأجاب :

- ما حدث لك يا سيدتي يعد معجزة علمية طبية ، بأي مقياس معروف ، ومن المؤكد أنه سيكون فتحًا مدهشًا ، وأملاً جديدًا لكل المصابين بالشلل ، وخاصة الذين أصيبوا به من جراء حادث أو إصابة مباشرة ، والمفترض أن تشعري بالسعادة الجمة ، لاستعادتك قدرتك على المشي ثانية ، ولكن الشريحة المزروعة في نخاعك الشوكي هي الجيل الأول من مثيلاتها ، وقدرتها في هذا المضمار ما زالت محدودة ، بحيث لن يمكنها احتمال النشاط الزائد ، أو الضغوط فوق الطبيعية ، إذ إن عملية توصيل الإشارة تعاني صعوبة في العمل ، تحت هذه الظروف ، مما يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارتها ، وتصاعدت احتمالات توقفها عن العمل .

امتقع وجهها لكلماته ، فعضت شفتيه أسفًا ، في حين قال خبير الإليكترونيات الحيوية في اهتمام علمي يخلو من أية تعاطفات :

- حسبما علمنا من دونا (كارولينا) ، فطبيعة عملك عنيفة إلى حد كبير ، وهذا لن يؤدي إلى توقف الشريحة الإليكترونية عن العمل فحسب ، وإنما قد يدفع نشاطها الزائد أعصابك الطرفية إلى تهيج غير محسوب ، مما قد يفسد التوافق العصبي العضلي لديك ، مع أي نشاط زائد .

غمغمت ، وهي تقاوم دموعها في صعوبة :

- أيعني هذا أنني لن أستطيع العدو ثانية ؟!

هز رأسه ، مجيبًا :

- ستكون النتائج عندئذ بالغة الخطورة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

- ولا يمكن توقعها أيضًا .

انسالت دموعها على وجهها في صمت ، فربت كبير الجراحين على كتفها مرة أخرى ، قائلاً :

- لا تحولي لحظة نجاح كهذه إلى مأساة يا بنيتي .. لقد حصلت اليوم على أفضل المتاح ، ولا أحد يدري ماذا يمكن أن يحدث غدًا .

قالت دونا (كارولينا) في حزم :

- الغد أفضل بالتأكيد .

ثم التقطت سيجارة من حقيبتها الصغيرة ، وأشعلتها بقداحتها في أناقة ، فتبادل كبير الجراحين وخبير الإليكترونيات الحيوية(*) نظرة متوترة ، قبل أن يتنحنح الأول في حرج ، قائلاً :

- معذرة يا دونا ، ولكن بالنسبة للتدخين في المستشفى ، و ...

قاطعته في صرامة :

إنه مستشفاي .

قال بحرج أكبر :

- هذا لا يمنحك استثناءً .

(*) الإليكترونيات الحيوية Bio Electroncs : مصطلح جديد ، يطلق على نوع من الأجهزة الإليكترونية الصغيرة ، التي يتم توصيلها بالخلايا الحية ، في محاولة للاستعاضة عن التوصيل العصبي الطبيعي، والعلماء يأملون أن يؤدي تطور هذه الإليكترونيات الحيوية إلى مساعدة المصابين بالشلل على المشي ، وإعادة القدرة على الإبصار للعميان ، والعديد من النتائج المدهشة الأخرى .

نفثت دخان سيجارتها في قوة ، وهي تنهض من
مقعدها ، قائلة بلهجة أكثر حزماً وصرامة :
ـ قاضيني إذن .
تبادل الرجلان نظرة أخرى أكثر توتراً ، ثم التجأ
خبير الإليكترونيات الحيوية إلى النافذة ، وفتحها عن
آخرها ، قبل أن يغمغم :
ـ حمداً لله على سلامتك يا سيدة (جيهان) .
ثم أشار لزميله، وغادر الاثنان الحجرة في صمت ..
ولثوان ، امتلأ هذا الصمت إلى المرأتين ، اللتين
تطلعتا إلى بعضهما البعض بضع لحظات ، قبل أن
تمسح (جيهان) دموعها ، قائلة :
ـ كيف يمكنني أن أشكرك ؟!
لوحت دونا بيدها في توتر ، قائلة :
ـ لست بحاجة إلى أن تفعلي .. كنت أنفذ ما طلبه
(أدهم) فحسب .
حاولت (جيهان) أن تبتسم ، وهي تقول :
ـ كان يمكنك ألا تفعلي .
هزت دونا رأسها في قوة ، مجيبة :
ـ مستحيل !

ثم نفثت دخان سيجارتها في شدة ، وكأنما تفرغ
انفعالاً خفياً في أعماقها ، قبل أن تضيف في عصبية :
ـ لم يكن من الممكن قط أن أتجاهل رغبته الأخيرة ،
....
قاطعتها (جيهان) بصوت ارتجف ، كريشة في
مهب الريح :
ـ رغبته الأخيرة ؟! ماذا تعنين ؟!
صمتت دونا بضع لحظات ، بدا من الواضح خلالها
أنها تقاوم دموعها بشدة ، قبل أن تجيب :
ـ لم أشأ أن أبلغك هذا من قبل .
هوى قلب (جيهان) بين قدميها ، وهي تقول :
ـ هل .. هل لقي (أدهم) مصرعه ؟!
مطت دونا (كارولينا) شفتيها ، قائلة :
ـ ربما .
هتفت بها :
ـ ماذا تعنين بكلمة (ربما) هذه ؟! سؤالي
لا يحتمل سوى جواب من اثنين .. إما نعم أو لا !
هزت دونا رأسها ، مجيبة :
ـ ليس باستطاعة أحد أن يجيب هذا السؤال ، حتى
هذه اللحظة .

اتسعت عينا (جيهان) ، وهى تقول :

ـ ماذا تعنين ؟!

لوّحت دونا (كارولينا) بيدها ، قائلة :

ـ سأخبرك .

خفق قلب (جيهان) فى عنف ، وهى تستمع إلى دونا (كارولينا) ، التى روت لها كل ما تعلمه ، عن اختفاء (أدهم) فى أدغال (كومانا) ، بعد نجاح عملية (النيل) ، واغرورقت عينا (جيهان) بالدموع ، وهى تقول فى مرارة :

ـ لماذا يا إلهى ؟! لماذا ؟! الرجل الوحيد الذى أحببته ، فى حياتى كلها ، مفقود على هذا النحو ، وأنا هنا عاجزة عن البحث عنه ..

لماذا ؟! لماذا ؟!

قالت (كارولينا) فى عصبية ، وهى تطفئ سيجارتها قبل أن تكتمل :

ـ إننى أفعل كل ما يمكننى .

سألتها (جيهان) :

ـ كيف ؟!

هزّت كتفيها ، وهى تشعل سيجارة أخرى ، وكأنما

نسيت أنها قد أطفأت واحدة بالفعل ، منذ لحظة ، وقالت :

ـ لقد أرسلت فريقًا من رجالى إلى (فنزويلا) ، للبحث عنه هناك .

قالت (جيهان) فى أسى :

ـ هذا يحتاج إلى محترفين .

أجابت (كارولينا) فى صرامة :

ـ إنهم كذلك .

ثم مالت إلى الأمام ، ونفثت دخان سيجارتها فى قوة ، مستطردة :

ـ ثم إنهم يحملون معهم أقوى أسلحة العصر الحديث .

أطل تساؤل من عينى (جيهان) ، فأشارت بسبابتها وإبهامها ، مكملة :

ـ المال .

كرّرت (جيهان) فى دهشة مستنكرة :

ـ المال ؟! أهذا ما تقصدين بأقوى أسلحة العصر ؟

هتفت (كارولينا) فى حماس :

ـ بالطبع يا عزيزتى .. المال ليس أقوى أسلحة

العصر فحسب ، بل هو كل أسلحته أيضًا .. إنه المفتـ
الصالح لفتح كل الأبواب ، وكل العيون والأفواه .. وهـ
وسيلة الحصول على المعلومات والأدلة ، والعون
والرجال .. والأسلحة القتالية أيضًا .

ومالت نحوها أكثر ، مكملة فى حزم متوتر :

- صدقينى يا عزيزتى .. المال هو كل شىء فى عالمنا الآن .

تطلعت (جيهان) إلى عينيها بضع لحظات فى صمت عجيب ، ثم لم تلبث أن سألتها بصوت مبحوح خافت :

- دونا .. هل يمكنك توصيلى إلى مستشفى آخر .

قالت دونا (كارولينا) ، وهى تتراجع فى دهشة :

- لاستكمال العلاج ؟!

هزت (جيهان) رأسها نفيًا ، وهى تجيب فى حزم :

- بل لزيارة صديق .. صديق خاص جدًا .

نطقتها ، وفى رأسها تعربد فكرة مجنونة .. مجنونة إلى أقصى حد .

* * *

٣ - أين ؟!

أشار رجل الشرطة الفنزويلى فى حزم إلى سيارة رياضية حمراء أنيقة ، من طراز باهظ الثمن ، إشارة واضحة الصرامة ، وهو يعترض طريقها مباشرة ، فتوقف بها سائقها الوسيم الأنيق ، ورسم على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- صباح الخير أيها الضابط .. ترى ماذا هناك ؟! هل تجاوزت قوانين السير لديكم ، دون أن أدرى ؟!

أجابه الضابط فى صرامة جافة :

- بل هو إجراء روتينى .. إننا نراجع رخص قيادة كل السيارات الأجنبية ، وجوازات سفر الأجانب .

ناوله الوسيم جواز سفره ، ورخصة قيادته الدولية ، وهو يبتسم ، قائلاً بإسبانيته ذات اللهجة الأجنبية الواضحة :

- لماذا ؟! لاريب فى أنه حدث جلل .. هل يرتبط هذا الإجراء بذلك الانفجار العنيف ، الذى يتحدثون عنه ، والذى وقع منذ أسبوع تقريبًا ، فى أدغال (كومانا) ؟!

أجابه الضابط بنفس الصرامة الجافة ، وهو يفحص جواز السفر ورخصة القيادة :

- ليس هذا من شأنك .

ارتفع حاجبا الوسيم في دهشة ، لهذا الجواب الفظ ، الذي يفتقر لأبسط قواعد اللباقة والذوق ، ولكن الضابط تابع بنفس الصرامة :

- أو شأني .

ثم أضاف في خشونة :

- إنني أنفذ الأوامر فحسب .

هتف الوسيم بدهشة مفتعلة :

- آه .. فهمت .

راجع الضابط جواز السفر ورخصة القيادة مرة أخرى ، قبل أن يقول في صرامة وغلظة :

- اسمك (ماتراك) .. (جوزيف ماتراك) .. وأنت محام .. أليس كذلك ؟!

أومأ الوسيم برأسه ، مجيبًا :

- بلى .. ولكنني لا أصلح للعمل هنا ، فأنا محام أمريكي ، و ...

قاطعه الضابط في صرامة ، وهو يعيد إليه أوراقه :

- مادمت محاميًا ، فاحرص على الالتزام بالقانون ، طوال فترة وجودك هنا يا سنيور (ماتراك) .

استرد المحامي أوراقه ، وهو يقول بابتسامة كبيرة :

- إنني أفعل دومًا أيها الضابط .

وعاد ينطلق بسيارته ، وهو يطلق من بين شفتيه لحنًا أمريكيًا شهيرًا ، وتجاوز الشارع الرئيسي إلى منطقة فيلات هادئة ، عند أطراف (كراكاس) ، وتوقف أمام إحدى الفيلات ، ليخرج من جيبه جهاز اتصال لاسلكي صغير ، ويقول عبره :

- مرحى يا أميرتي .. إنه أنا .. لقد وصلت .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت (كلارا فلوراس) ، وهي تقول في شيء من البرود :

- من أنت بالضبط ؟!

ارتفع حاجباه لحظة في دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، مجيبًا :

ـ مستشارك القانونى الخاص يا أميرتى.. (ماتراك) .. (جوزيف ماتراك) .. وكلمة السر هى (بيكاسو)(*) .. كلمة فنية للغاية .. أليس كذلك يا ساحرتى ؟!

لم يأته جواب هذه المرة ، وإنما انفتحت أمامه البوابة المعدنية للفيلا ، فعبرها بسيارته الحمراء الرياضية الصغيرة ، وهو يتلفت حوله ، قبل أن يهز رأسه ، قائلاً فى سخرية :

ـ بوابة إليكترونية دون حراسة مباشرة !! يا لك من داهية يا أميرتى .

وعاد يطلق من بين شفتيه ذلك اللحن الأمريكى ،

(*) بابلو بيكاسو (١٨٨١ ـ ١٩٧٣م) : فنان إسبانى ، ولد فى (مالاجا) ، ودرس الفن فى (لشبونة) و(باريس) ، مر فنه بالمرحلة الزرقاء ، ثم المرحلة الوردية ، نسبة إلى الألوان الغالبة على لوحاته حينذاك ، ثم بدأ منذ عام (١٩٠٩م) فى وضع تكوينات ذات زوايا حادة ، تطورت حتى بلغت ما أطلق عليه اسم (التكعيبية) ، فى عام (١٩٠٩م) ، ثم أعقبها بالمرحلة (الكلاسيكية الجديدة) ، عام (١٩٢٠م) ، من أشهر لوحاته (جيرونيكا) ، التى صور فيها الحرب الأهلية الإسبانية .

وهو يعبر حديقة الفيلا بسيارته ، حتى توقف أمام الباب الداخلى ، حيث استقبله شاب قوى البنيان ، مفتول العضلات ، أشار بيده تحية ، بوجه يخلو من أية انفعالات ، فرد المحامى تحيته ، وهو يهبط من سيارته ، قائلاً :

ـ كيف حالك يا (رونالدو) .. ألا يبدو مظهرك عجيبًا ، دون مدفعك الآلى الضخم .

أشار (رونالدو) بيده ، مغمغمًا فى خشونة :

ـ إنه بالداخل .

وأفسح الطريق للمحامى ، مستطردًا :

ـ السيدة أمرت بعدم ظهور أية أسلحة ، وتصر على ألا يشعر أحد بوجودنا هنا ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت (كلارا) ، عبر سماعة فى مدخل الفيلا ، وهى تقول فى صرامة غاضبة :

ـ إياك أن تتحدث عن أية تفاصيل مرة أخرى يا (رونالد) ، وإلا ..

وعلى الرغم من ضخامة الشاب وقوته الواضحة ، امتقع وجهه لسماع صوتها ، وارتبك بشدة ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد يا سيدتى .. بالتأكيد .

أما المحامى ، فقد رفع عينيه إلى السماعة المثبتة فى الركن ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

- آه .. الأميرة لا تستطيع رفع أنفها من كل ما يحيط بها .

أتاه صوتها ، عبر سماعة أخرى ، عند مدخل سلم الطابق الثانى ، وهى تقول :

- اصمت يا (ماتراك) ، واصعد على الفور .

ضحك ، قائلاً :

- بالتأكيد يا أميرتى .. بالتأكيد .

اصطحبه (رونالدو) حتى مدخل حجرتها ، وهناك طرق الباب فى احترام شديد ، فأشار المحامى إلى كاميرا مراقبة ، عند زاوية الباب ، وقال مبتسماً :

- لا داعى لهذا .. إنها تعلم أننا هنا .

انفتح الباب إثر كلماته ، وظهرت خلفه (كلارا) ، فى ثوب وردى بالغ الأناقة والإغراء ، وهى تحمل سيجارتها الرفيعة بين أصابعها ، قائلة فى صرامة :

- لو أنك توقفت عن إطلاق تعليقاتك السخيفة هذه ، فربما أصبحت شخصاً لطيفاً يا (ماتراك) .

هز كتفيه ، وهو يدلف إلى حجرتها الخاصة ، قائلاً :

- ومن قال : إننى أرغب فى هذا ؟!

أغلقت الباب خلفه ، وهى تقول فى حدة :

- سأقتلك ذات يوم يا (ماتراك) .

قهقه ضاحكاً ، وهو يقول :

- لن يمكنك هذا يا أميرتى ، فمازلت تحتاجين إلى استشاراتى القانونية ، وكل ما أجلبه لك من معلومات .

عضت شفتها السفلى فى حنق ، مغمغمة :

- ليس إلى الأبد .

ثم جلست على مقعد مواجه له ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، وهى تنفث دخان سيجارتها الطويلة فى عمق ، قبل أن تقول :

- حسناً .. ماذا لديك ؟!

ابتسم ، قائلاً :

- مهلاً يا أميرتى .. لقد وصلت من (نيويورك) صباح اليوم فحسب ، و ...

قاطعته فى حدة :

- ماذا لديك يا (ماتراك) ؟!

ابتسم ابتسامة لزجة ، وكأنما يروق له إثارة أعصابها ، وجذب مقعداً ليجلس فى مواجهتها ، قائلاً :

- لقد اعتبروه مفقوداً .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

- بهذه البساطة ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ أية بساطة ؟! لقد قلبوا الأرض بحثاً عنه ، ونبشوا كل شبر من الأدغال ، وأرسلوا رجالهم وعيونهم في كل مدينة وقرية من (فنزويلا) ، وأطلقوا آذانهم لجمع المعلومات ، من كل جهاز مخابرات في العالم .. كلا يا أميرتي .. إنهم لم يستسلموا بهذه البساطة .

قالت في توتر :

ـ ولكنه أسبوع واحد .

قال في حزم :

ـ لقد بذلوا خلاله ما يفوق طاقة البشر في شهر كامل .

تراجعت في مقعدها في بطء ، مغمغمة :

ـ إذن فقد اعتبروه مفقوداً ، من الناحية الرسمية .

تمتم مبتسماً :

ـ هو كذلك .

التقطت نفساً عميقاً من سيجارتها ، وأطلقته في سقف الحجرة ، مغمغمة :

ـ من يصدق هذا ؟!

تطلّع إليها المحامي بضع لحظات في صمت ، قبل أن يميل نحوها ، ويتطلّع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً :

ـ أين هو يا أميرتي ؟!

تطلّعت بدورها إلى عينيه مباشرة في ثبات ، وهي تجيب :

ـ ومن أدراني ؟!

ابتسم في خبث ، قائلاً :

ـ حقاً ؟!

هزّت كتفيها ، ونهضت من مقعدها ، لتنفث دخان سيجارتها ثانية ، قائلة في عصبية :

ـ لماذا تتصوّر أنني أعلم ؟!

هتف بدهشة مفتعلة :

ـ أتصوّر ؟!

ثم نهض من مقعده بدوره ، واقترب منها ، قائلاً :

ـ لقد أحضرتني من (نيويورك) على وجه السرعة يا أميرتي ، وطلبت مني العمل على استئجار طائرة شحن خاصة ، في سرية تامة ، وتزويدها بكل المعدات الطبية اللازمة ، مع الحصول على طيّار محترف ، يمكنه قيادتها تحت جنح الليل ، لعبور

الحدود الفنزويلية ، دون أن ترصده أجهزة الرادار أو الدفاع الجوى ، بحيث يصل إلى (بوكارامنجا) فى (كولومبيا) ، حيث تنتظر طائرتك الخاصة هناك ، مع طاقم طبى من الطراز الأول ، يكفى لرعاية مصاب فى أخطر حالاته ، حتى يصل إلى قصرك الخاص فى (نيويورك) .. أتبدو لك كل هذه الأمور عادية بسيطة ، إلى الحد الذى يجعلنى أتصورُ فحسب ؟!

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ لو أن هذا قد نجح فى خداعك ، فسيفعل هذا مع الجميع حتمًا .

قال فى حدة :

ـ ولماذا ؟! لا يوجد مبررٌ واحد للقيام بخدعة بالغة الخطورة كهذه ، فما إن يشتمّ المصريون أمرها ، حتى تنقلب عليك الدنيا ، وأنت فى غنى عن أية مواجهات ، فى الوقت الحالى .

أجابت فى خبث :

ـ ربما كنت أشتاق إلى بعض النشاط .

قال فى صرامة :

ـ ليس بهذا الأسلوب ، فكما يبحث الكل عن (أدهم

صبرى) ، فهم ينبشون الأرض بحثًا عنك أيضًا .. المصريون لأنهم يرون أنك مفتاح حل لغز اختفاء رجلهم ، والإسرائيليون بعد علمهم بأن تدخلك للهيمنة على عملية إطلاق الصاروخ (سكاى آى) (م و ـ ٢٢) ، كانت له بعض المسئولية فى فشل عمليتهم .

قالت بلا مبالاة :

ـ مجردُ استنتاج محض .. ليس لدى الطرفين أية دلائل على ما يتصوران .

قال بغضب :

ـ وهذا ما يدفعهم للسعى خلفك .

عادت تحمل نفس الابتسامة الخبيثة ، وهى تقول :

ـ دعهم يلهثون .

تطلّع إليها مليًا فى صمت ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عمق وهدوء ، قبل أن يسألها فى حزم :

ـ ماذا تخفين بالضبط ؟!

أدارت عينيها إليه ، مجيبة :

ـ تولَّ أنت مهامك ، ولا تشغل نفسك بأمورى .



مالت نحوه ، قائلة ، وهى تتطلّع إلى عينيه بمنتهى الثبات :
ـ لو أن امرأة مثلى ، تبغض رجلاً كل هذا البغض ؟!

كرر فى توتر :
ـ ماذا تخفين ؟!
نفثت دخان سيجارتها فى قوة وبطء هذه المرة ، وعيناها تحدقان فى الفراغ ، ثم لم تلبث أن أعادتهما إليه ، قائلة :
ـ قل لى يا (مانتراك) : ما دمت عبقريًا ولمّاحًا إلى هذا الحد ، فلماذا لم تلق على نفسك أهم سؤال فى الأمر كله .
سألها فى حذر :
ـ أى سؤال ؟!
مالت نحوه ، قائلة ، وهى تتطلّع إلى عينيه بمنتهى الثبات :
ـ لو أن امرأة مثلى ، تبغض رجلاً كل هذا البغض ، ثم وجدته يومًا مصابًا فى قبضتها ، أكانت ستتركه على قيد الحياة ؟!
هزّ رأسه فى بطء ، قائلاً :
ـ مستحيل !
مالت نحوه أكثر ، حتى ملأت رائحتها العطرة المثيرة صدره ، وهى تسأله :

- وهل كانت ستخفى انتصارها ؟!

كرّر :

- مستحيل !

تراجعت بابتسامة كبيرة ، ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، في بطء وقوة ، قبل أن تضيف :

- لماذا لم تفكر في هذا إذن ؟!

انعقد حاجبا المحامى فى شدة ، وراح عقله يراجع قولها ألف مرة ..

وفى كل مرة ، كان يدرك أنها على حق تمامًا ..

ولكن هذا لم يرو نهمه القوى للمعرفة قط ..

فما دامت هى أيضًا لم تظفر به ..

من فعل إذن ؟!

من ؟!

من ؟!

* * *

نهض مدير جهاز الأمن الفنزويلى من خلف مكتبه ، ليستقبل رجل المخابرات الأمريكى (مارك هندرسون) فى احترام وترحاب ، وقاده إلى أريكة كبيرة فى صدر المكتب ، قائلاً فى توتر ملحوظ :

- مرحبًا بك فى (كراكاس) يا سنيور (هندرسون) .. أبلغونى من مقر الرياسة أنك هنا فى مهمة خاصة للغاية ، وطلبوا منى تقديم كل مساعدة ممكنة .. ما الذى ترغب فى معرفته بالضبط ؟!

جلس (هندرسون) فى هدوء ، وهو يقول :

- إننا نبحث عن رجل المخابرات المصرى .

عقد مدير الأمن حاجبيه ، مغمغمًا :

- المصرى ؟! أتقصد ذلك الذى اختفى فى أدغال (كومانا) ، بعد الانفجار الذى ..... ؟!

قاطعه (هندرسون) فى شىء من الصرامة :

- إنه هو .

رمقه مدير الأمن بنظرة تحمل بعض الاستنكار ، لما لأسلوبه من جفاف وعدم لياقة ، ولكنه قال فى بطء :

- لم نعثر له على أدنى أثر .

أجابه (هندرسون) فى غلظة :

- نعلم هذا جيدًا ، ولكننا نريد كل ما لديكم من معلومات ، حول ما حدث فى أدغال (كومانا) .

انعقد حاجبا مدير الأمن ، وهو يقول فى صرامة :

- المعلومات التى تطلبها ، مدرجة تحت بند (السرية المطلقة) يا سنيور (هندرسون) ، ولا يمكننى منحك إياها قط .

قال (هندرسون) فى صرامة شديدة :

- المعلومات لديك تحتم التعاون الكامل .

نهض مدير الأمن ، قائلاً بنفس الصرامة :

- ليس فيما يتعلق بأمن البلاد .

قال (هندرسون) فى عصبية :

- وما شأن أمن بلادك بمعلومات كهذه ؟!

جلس الرجل خلف مكتبه ، مجيبًا فى صرامة :

- ألم يحدث كل شىء هنا .

قال (هندرسون) :

- وماذا بعد ؟!

أجابه فى غلظة :

- تحليل الموقف يساعدنا على منع تكرار حدوثه مستقبلاً .

مال رجل المخابرات الأمريكى إلى الأمام ، وتطلع إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى حزم :

- الشىء الذى ينبغى أن تعلمه ، هو أننا لن نحصل على هذه المعلومات بصورة مجانية .

احتقن وجه مدير الأمن ، وهو يقول :

- ماذا تعنى يا سنيور (هندرسون) ؟!

أجابه (هندرسون) فى حزم أكثر :

- أعنى أننا سندفع ثمنها .. وبسخاء .

احتقن وجه مدير الأمن أكثر ، وهبَّ من مقعده ، قائلاً فى غضب :

- هل تعرض علىَّ رشوة يا سنيور (هندرسون) ؟!

ارتفع حاجبا رجل المخابرات الأمريكى ، وهو يهتف مستنكرًا :

- رشوة ؟! من أشار إلى هذا ؟!

صاح به مدير الأمن ، وقد تضاعف غضبه :

- ما الذى يعنيه تلميحك إلى دفع الثمن إذن ؟!

أجاب (هندرسون) ، وهو ينهض واقفًا ، ويرسم على شفتيه ابتسامة دبلوماسية كبيرة :

- من الواضح أنك قد أسأت فهم ما أعنيه تمامًا يا رجل .. عندما أشرت إلى الثمن ، كنت أعنى الأمور والاتفاقيات بين دولتينا ، وليس الأمور بينى وبينك ..

ففى مقابل حصولنا على هذه المعلومات ، سنعقد اتفاقية تعاون مشترك ، بين قواتنا العسكرية ، وجيشكم بكل أفرعه ، وستحصلون على معونات اقتصادية وعسكرية ، بمبلغ ذى سبعة أصفار ، و ...

ارتفع حاجبا مدير الأمن ، وهو يقاطعه فى دهشة :

- كل هذا من أجل رجل واحد ؟!

أجابه (هندرسون) فى حزم :

- إنه ليس رجلاً عادياً .

ثم هزَّ رأسه ، قبل أن يتحرك فى الحجرة الواسعة ، متابعاً :

- والأمر فى الواقع لا يتعلق باختفائه ، بقدر ما يتعلق بالجهة المسئولة عن هذا ، فمن يسعى خلف شخص مثله ، وبهذه السرعة المدهشة ، لا بد وأن ينتمى إلى تنظيم بالغ القوة ، وهذا لا ينطبق على العديد من الجهات فى هذا العالم .. لقد تحرينا الأمر خلال الأسبوع المنصرم كله ، وتم التعاون بيننا وبين المخابرات الروسية ، والإسرائيلية ، والبريطانية ، والفرنسية .. وحصلنا على معلومات مهمة للغاية ، من قلب عدد من أهم وأكبر منظمات الجاسوسية الخاصة ، وحتى المنظمات الإجرامية الشهيرة ، وكل

هذا لم يسفر عن شىء ، مما قد يشير إلى مولد تنظيم جديد ، لم ندرك أمره بعد .

سأله مدير الأمن فى حذر :

- ولماذا لم يعلن هذا التنظيم الجديد عن نفسه ؟!

أجابه فى حزم :

- ربما لم يحن الوقت بعد .

هزَّ مدير الأمن رأسه ، دلالة على عدم الاقتناع ، وهو يقول :

- لماذا يسعى لاختطاف شخص مثله ، فى حالة سيئة للغاية حتماً ، بعد انفجار كهذا ؟!

أجابه (هندرسون) فى صرامة :

- قلت لك : إنه ليس بالشخص العادى .

قال مدير الأمن فى إصرار :

- ولو .. كيف يمكنه أن يفيدهم ، فى حالة كهذه ؟! لقد رأيت بنفسى المكان بعد ذلك الانفجار الرهيب ، ولست أظن شخصاً يخرج من هذا الجحيم فى حالة تصلح للاستفادة منه ، بأى حال من الأحوال !

مط (هندرسون) شفتيه ، وحملت عيناه كل انفعاله وحيرته وتوتره ، وهو يغمغم :

- وهذا ما يثير حيرتنا وقلقنا أكثر وأكثر .

وانعقد حاجباه في توتر بالغ ، وهو يضيف :

ـ صدقني يا رجل .. اختفاء رجل المخابرات المصري هذا لم يعد مجرد واقعة غامضة ، تحتاج إلى تفسير .. لقد تحول إلى نقطة ضعف كبيرة ، في كيان كل جهاز مخابرات في العالم .. نقطة ضعف قد تؤدي إلى تغيير نظم المخابرات كلها .

غمغم مدير الأمن مبهوراً :

ـ إلى هذا الحد .

أجابه (هندرسون) :

ـ وأكثر يا رجل .. وأكثر .

نطقها على نحو ضاعف من دهشة مدير الأمن وانبهاره ألف مرة ، وجعله يطرح على نفسه ، على نحو مختلف تماماً ، السؤال ذاته ، الذي شغل الجميع طوال أسبوع كامل ..

ترى أين اختفى (أدهم صبري) ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر هكذا ؟!

أين ؟!

أين ؟!

* * *

٤ ـ الحيرة !!

اتسعت عينا الزنجي (بترو) عن آخرهما ، وهو ينهض من فراشه في سرعة ، على الرغم من الضمادات التي تحيط بصدره ، هاتفاً في دهشة واحترام ، بإسبانيته العامية السلسة :

ـ سنيورا (جيهان) .

أشارت إليه (جيهان) بابتسامة باهتة ، وهي تدلف إلى حجرته بالمستشفى ، معتمدة على ذراع أحد رجال (كارولينا) ، وغمغمت :

ـ كيف حالك يا (بترو) ؟!

هتف في حماس :

ـ في خير حال يا سنيورا .. سنيور (بليجروسو) شملني بعطفه ورعايته إلى آخر مدى .. لقد عالجوا إصاباتي كلها هنا ، ويعاملونني طوال الوقت كزعيم قبيلة .

ابتسمت للتشبيه الذي اختاره ، وهي تقول :

ـ إنه يشملنا جميعاً برعايته ..

أمسك (بترو) يدها فى انفعال ، وهو يسألها :

ـ كيف هو ؟!

تطلعت إلى عينيـه مبـاشرة ، وهى تجلس إلـى جواره ، على طرف الفراش ، مجيبة :

ـ لا أحد يدرى يا (بترو) ..

خفق قلبه بين ضلوعه فى عنف ، وهو يسأل :

ـ ماذا تعنين يا سنيورا ؟!

مالت نحوه ، قائلة بلهجة حازمة :

ـ سنيور (بليجروسو) مفقود .

انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يهتف :

ـ مفقود ؟!

ثم انعقد حاجباه فى صرامة وحزم ، مستطرداً :

ـ وما الذى يعنيـه هـذا ؟! هل بحثتم عنـه ؟! هل قلبتم الأرض ونبشتموها شبراً شبراً من أجلـه ؟! هل ...

قاطعته فى حزم :

ـ الكل فعل ما أمكنه يا (بترو) .

ثم عادت تتطلع إلى عينيه مباشرة ، مضيفة :

ـ والآن حان دورنا .

أجاب بكل حزم الدنيا :

ـ أنا رهن إشارتك .

قالت فى حزم مماثل :

ـ سنرحل معاً إلى (كومتا) الفنزويلية ، حيث شوهد سنيور (بليجروسو) لآخر مرة .

سألها فى سرعة :

ـ متى ؟!

ألقت نظرة على رجل (كارولينا) ، الذى يصحبها ، قبل أن تجيب :

ـ خلال ساعة واحدة .

تطلع فى قلق إلى قدميها ، مغمغماً :

ـ ولكنك يا سنيورا تسيرين فى صعوبة ، و ...

قاطعته فى صرامة :

لهذا أحتاج إليك .

اعتدل مجيباً :

ـ وأنا رهن إشارتك دوماً .

ثم عاد حاجباه ينعقدان فى صلابة ، مضيفاً :

ـ من أجل سنيور (بليجروسو) .

مدّت يدها إليه ، فصافحها في حزم ، معلنًا تعاونهما بكل صورة ممكنة ، من أجله ..

من أجل (أدهم) ..

(أدهم صبري) ..

* * *

« كل الجراحات أجريت له بنجاح تام .. »

نطق الجرّاح الأمريكي عبارته في حزم هادئ ، وهو يملي سكرتيرته ، التي تنقل كلماته عبر أزرار الكمبيوتر وشبكة الأنترنت .. إلى مكان ما ، في حين راح هو يتحرك في المكان ، متابعًا :

ـ ومن الواضح أنه قوي البنية ، وسيتعافى بسرعة إلى حد ما .. إنه الآن تحت الرعاية الخاصة ، في هذا المكان ، المجهزّ طبيًا على نحو بالغ الدقة ، لم أتصوّر وجوده قط ، وسط أدغال كهذه ، ومع وجود فريق الأطباء ، الذي تم إحضاره من (لوس أنجلوس) ، وطاقم التمريض اللازم ، أظنه سيستعيد وعيه خلال ساعات معدودة .. نحن في انتظار أية تعليمات جديدة .. دكتور (براون) .

ثم التفت إلى السكرتيرة ، مضيفًا في حزم :

ـ ضعي اسمي بخط لائق .

ابتسمت السكرتيرة ، قائلة :

بالتأكيد .

نفث دخان غليونه في أناقة ، وهو يتابع عملها ، في حين ضربت هي آخر الأزرار ، ثم تراجعت متطلعة إلى الشاشة ، التي ظلت صامتة ساكنة بعض الوقت ، ثم راحت الكلمات تتراص عليها في سرعة :

ـ متى سيمكنه استعادة قدرته على الحركة ؟!

قرأ الطبيب السؤال ، وأشار بيده ، مجيبًا :

ـ إنه قوي البنية كما أخبرتك ، وما إن يستعيد وعيه ، حتى يصبح قادرًا على السير ، وفي خلال أسبوع واحد ، يمكنه العودة إلى عمله .

نقلت السكرتيرة كلماته ، عبر شبكة الأنترنت ، وأتاهما الجواب بسرعة على الشاشة ، في هيئة سؤال جديد :

ـ حتى ولو كان عمله هذا عنيفًا إلى حد كبير .

انعقد حاجبا الطبيب ، وهو يقرأ السؤال ، ونفث دخان غليونه مرة أخرى ، ثم أجاب :

ـ هذا يتوقف على قوة إرادته .

أتاه الجواب هذه المرة :

ـ إنها أقوى مما تتصور .

هز كتفيه ، قائلاً فى حماس :

ـ فى هذه الحالة لن يستغرق الأمر طويلاً .. إنه هنا منذ أسبوع كامل ، وجراحه كلها التئمت تقريبًا ، وهو يستعيد وعيه بصورة متقطعة .. منذ صباح أول أمس ، ولكن نبضه ومعدل تنفسه يتحسنان تدريجيًا ، و ...

قاطعته السكرتيرة فى توتر :

ـ مهلاً يا سيدى .. لا يمكننى الكتابة بنفس سرعة حديثك ، وخاصة مع حماسك هذا .

مط شفتيه فى ضيق ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ أخبريهم أن أمامه يومين أو ثلاثة ، قبل أن يعود إلى عمله العنيف المجهول هذا .

قالت فى سخرية ، وهى تنقل كلماته ، عبر شبكة الإنترنت :

ـ مجهول ؟! هل يبدو لك كذلك حقًا ؟!

لوّح بيده ، قائلاً :

ـ كل شىء هنا يبدو لى غامضًا مجهولاً .. من كان

يصدق أننى أنا .. (ميل براون) .. أشهر جراح فى (لوس أنجلوس) كلها ، أوافق على الحضور إلى مستشفى سرى كهذا ، يختفى تحت أدغال (كومنا) ؛ لأداوى شخصًا مصابًا بكل هذه الإصابات ؟! إننى حتى أشعر بالدهشة ؛ لأنه ظلّ على قيد الحياة ، على الرغم من كل هذا !!

هزّت السكرتيرة كتفيها ، وتراجعت فى مقعدها ، بعد أن انتهت من نقل كلماته ، وقالت فى هدوء :

ـ أما أنا ، فالأمر يبدو لى واضحًا للغاية .

سألها فى دهشة :

ـ هكذا ؟!

أجابت فى ثقة عجيبة :

ـ بالطبع .. لقد أقاموا مستشفى متكاملاً ، على نحو بالغ السرية كهذا ، وينفقون بسخاء منقطع النظير ، حتى إن أجرى هنا ، فى شهر واحد ، يفوق أقصى ما يمكننى الحصول عليه فى (كاليفورنيا) لستة أشهر كاملة ، وأنا واثقة من أنك قد حصلت على رقم ذى ستة أصفار ، أنت وفريقك الطبى ، حتى تقبلوا الانتقال إلى هنا ، والعمل فى وكر سرى كهذا ؛

فما الذى يعنيه كل هذا .. لو أضفت إليه إصابات رجلهم الشديدة ، وحديثهم عن مهنته العنيفة ؟!

سألها فى اهتمام :

ـ ما الذى يعنيه ؟!

أجابت بنفس الثقة :

ـ إنهم تجار مخدرات .

صعقه الجواب ، حتى إنه تراجع فى عنف ، هاتفًا :

ـ تجار ماذا ؟!

ضحكت للذعر الذى انحفر على كل خلية من ملامحه ، وأجابت :

ـ تجار مخدرات بالطبع يا دكتور (براون) .. من غيرهم يختفى وسط الأدغال على هذا النحو ، وينفق بهذا السخاء .

هتف مذعورًا :

ـ وكل هذا من أجله ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ ولِمَ لا ؟! من المؤكد أنه يمثل لهم أهمية بالغة .. ربما كان زعيمهم .. أو أفضل رجالهم .. أو حتى زوج ابنتهم .. المهم أنه يعنى لهم الكثير .. والكثير جدًا .

سأل بنفس الذعر :

ـ ولكن ألا يخشون أن نبلغ عنهم الشرطة ؟!

قالت ضاحكة :

ـ نبلغ عن ماذا ؟! عن مستشفى سرى ، فى مكان ما ، من أدغال (كومانا) ؟! أنسيت أنهم قد أحضرونا جميعًا إلى هنا معصوبى الأعين ، داخل هليوكوبتر ذات زجاج معتم ؟!

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

ـ الحقيقة هى أنه ليس لدينا ما نُبلغ عنه يا دكتور (براون) .

حدّق فيها لحظة ، بعينين متسعتين ، من فرط الذعر ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، قائلاً فى ارتياح نقل الدهشة إليها :

ـ نعم .. إننا حتى لم نر شخصًا واحدًا ، منذ وضعونا هنا ، ولا نتحدث إلا لشبكة الأنترنت وحدها .

سألته فى دهشة :

ـ هل يسعدك هذا ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وأجاب فى حزم :

ـ بل يريحنى .

ونفث دخان غليونه ، متابعًا :

ـ فما دمنا لم نر أحدًا ، أو نعلم أين نحن ، وليس لدينا ما نبلغ عنه ، فلن يضيرهم أن يطلقوا سراحنا فى النهاية .

انتفض جسدها ، وهى تهتف :

ـ يطلقون سراحنا ؟! ماذا تعنى ؟!

أجابها فى هدوء مدهش :

ـ أعنى أنه لو كان الأمر مختلفًا ، لتخلصوا منا حتمًا ، بعد أن ننتهى من عملنا هنا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة عابثة ، وهو ينصرف مضيفًا :

ـ أليس كذلك أيتها العبقرية ؟!

غادر الحجرة ، وتركها خلفه ، تحدق فى الباب بذعر ، لم يلبث أن تحول إلى هلع تام ، وهى تدير عينيها إلى شاشة الكمبيوتر ، وتتطلع إليها طويلاً ، وكأنها ترى شبحًا مخيفًا ..

شبح ذلك المجهول ، الذى يختفى خلف حرف (X) ، على الشبكة ..

شبكة (الانترنت) ..

المجهول الذى يسيطر وحده على اللغز . الذى يشغل عالم المخابرات بأكمله ..

لغز اختفاء الرجل ..

رجل المستحيل ..

* * *

ارتفع حاجبا (منى) بدهشة بالغة ، وهى تتطلع إلى (نادية) ، التى جلست إلى جوارها ، داخل طائرة (مصر) للطيران ، المتجهة إلى (نيويورك) ، وهى تقول بلهجة أقرب إلى السخرية :

ـ كيف حالك يا زميلتى العزيزة ؟! هل تعتقدين أن الرحلة ستصبح أكثر إمتاعًا بصحبتى ؟!

هتفت (منى) فى دهشة :

ـ ماذا تفعلين هنا يا (نادية) ؟!

أجابتها (نادية) ، وهى تربط حزام مقعدها :

ـ المقدّم (نادية) أيتها الرائد (منى) .. لا تنس هذا أبدًا .

قالت (منى) فى صرامة :

ـ هذا ينطبق على الرسميات وحدها يا (نادية) .

قالت (نادية) بابتسامة ساخرة :

ـ رحلتنا هذه تدخل ضمن الرسميات أيتها الرائد .

سألتها في حدة :

ـ وكيف أيتها العبقرية ؟!

قالت (نادية) في حزم :

ـ سأخبرك كيف أيتها المتحذلقة .. لقد تقدمت بطلب إجازة ، وسافرت دون انتظار نتائج مطلبك هذا ، ويؤسفني أن أخبرك أن المدير قد رفض الموافقة عليها .

قالت (منى) في عصبية :

ـ رفض ؟! ولكنني لن أتراجع عن ...

قاطعتها (نادية) ، وهي تكمل بحزم أكبر :

ـ وأسند إلينا المهمة رسميًا ..

ارتفع حاجبا (منى) في دهشة ، وهي تهتف :

ـ أسند إلينا ماذا ؟!

استرخت (نادية) في مقعدها ، وتحسست ضمادة ذراعها اليسرى ، وهي تقول في هدوء :

ـ أسند إلينا .. أنا وأنت ؟ وبصورة رسمية تمامًا ، مهمة السفر إلى (كوماتا) ، والبحث عن أي خيط هناك ، يمكن أن يقودنا إلى العثور على العميد (أدهم) ، أو حتى معرفة ما أصابه هناك .

حدقت (منى) في وجهها بضع لحظات ، قبل أن تتراجع في مقعدها ، متمتمة :

ـ حمدًا لله .

ابتسمت (نادية) ، وقالت :

ـ في هذه الحالة ستعملين تحت رياستي .

انعقد حاجبا (منى) في غضب ، فاستدركت (نادية) في سرعة :

ـ من الناحية الرسمية البحتة .

سألتها ، والطائرة تنطلق على ممر الإقلاع :

ـ وماذا عن الناحية الفعلية ؟!

صمتت (نادية) لحظة ، قبل أن تقول :

ـ هناك أمر جديد .

سألتها (منى) في لهفة :

ـ وما هو ؟!

أجابت :

ـ هناك هليوكوبتر مجهولة ، وصلت إلى الموقع ، قبل أن أصل أنا إليه ، وابتعدت قبل وصول هليوكوبتر الإنقاذ .

ثم انعقد حاجباها في شدة ، مضيفة :

- وهنا يكمن السر .

اعتدلت (منى) فى مقعدها ، على الرغم من أن الطائرة قد أقلعت بالفعل ، وهتفت بصوت خافت وانفعال جارف :

- هل تعتقدين أن تلك الهليوكوبتر قد حملت (أدهم) إلى مكان ما ؟!

هزت (نادية) رأسها فى حزم ، قائلة :

- لست أعتقد .. إنه الاحتمال الوحيد المقبول .

بدا التوتر فى وجه (منى) وملامحها ، وهى تقول :

- السؤال هو : إلى أية جهة تنتمى تلك الهليوكوبتر؟!

أشارت (نادية) بسبابتها ، قائلة :

- هذا ما علينا أن نبحث عنه .

ثم أضافت فى حزم :

- وما يبحث عنه رجالنا هناك ، فى هذه اللحظة .

قالت (منى) فى توتر :

- أتعشم أن يتوصلوا إلى أمرها ، قبل وصولنا إلى هناك .

وافقتها (نادية) بإيماءة من رأسها ، وقالت فى حزم :

- أتعشم هذا أيضًا ، فلابد وأن يمنحونا طرف خيط على الأقل .

غمغمت (منى) :

- بالتأكيد .

نطقتها ، ولاذت كلتاهما بالصمت بعدها ، والطائرة تنطلق بهما فى سماء (مصر) ، متجهة إلى (أمريكا) ، كخطوة أولى نحو الهدف الرئيسى ..

نحو (كوماتا) ..

* * *

مطَّ صاحب المطار الخاص الوحيد فى (كوماتا) شفتيه ، وهرش رأسه على نحو مهمل ، وهو يتطلع إلى رجل المخابرات المصرى (خالد) ، قائلاً :

- ولماذا تسأل عن طائرات الهليوكوبتر بالذات يا رجل ؟! هل ترغب فى الطيران إلى منطقة وعرة أم ماذا ؟!

أجابه (خالد) فى برود :

- ليس هذا من شأنك .. هل تقوم بتأجير طائرات الهليوكوبتر أم لا ؟!

مط الرجل شفتيه مرة أخرى ، وهو يجيب :

- بالطبع ، ولكن استئجار هليوكوبتر يحتاج إلى تصريح خاص ، وشخص يجيد قيادتها ، و ...

قاطعه (خالد) بنفس البرود :

- ومتى فعلت هذا فى آخر مرة ؟!

تطلع إليه الرجل فى توتر، قبل أن يسأله فى حذر :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط يا هذا ؟!

أجابه (خالد) على نحو مباشر :

- المعلومات .

تراجع الرجل فى دهشة ، لهذه الصراحة الزائدة ، هاتفًا :

- معلومات ؟!

ثم استدرك فى عصبية :

- أهى بشأن ذلك الانفجار ؟!

أجابه بنفس الصراحة :

- بالطبع .

ثم مال نحوه ، مضيفًا ، وهو يغمز بعينه :

- وسأدفع مقابلها بسخاء .

تطلع إليه الرجل فى شك حذر للغاية ، قبل أن يتمتم :

- ولماذا ؟!

هزّ (خالد) كتفيه ، مجيبًا :

- لأن هذه طبيعة عملى .

ثم أخرج من جيبه بطاقة صغيرة تحمل صورته ، وقدّمها إلى الرجل ، متابعًا :

- إننى كما ترى ، أعمل لحساب جريدة (هيرالد تريبيون) ، وأصارحك القول أن الصحافة كلها شديدة الاهتمام بحادث الانفجار ، وكل صحيفة تبذل قصارى جهدها ، لنشر أيّة معلومات جديدة .

أومأ الرجل برأسه ، وانفرجت أساريره ، وهو يقول :

- أعلم هذا .

ثم أشار بيده فى شىء من الزهو ، مستطردًا :

- لست أوّل صحفى ، يأتى لسؤالى عن الانفجار .

بدا الاهتمام على (خالد) ، وهو يقول :

- حقًا ؟!

مال الرجل نحوه ، قائلاً بابتسامة خبيثة :

- ولكن أصارحك القول .. أنت أوّل من يسألنى عن موضوع طائرات الهليوكوبتر هذا .



قاطعه (خالد) ، وهو يخرج من جيبه ورقة بمائة دولار ، قائلاً :
ـ بالمصادفة ! لدى هنا عقار قوى ، يشفى ضعف الذاكرة هذا ..

تطلّع (خالد) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :
ـ إذن فقد استأجر بعضهم طائرة هليوكوبتر بالفعل ، فى نفس يوم الحادث .
هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال بدهاء :
ـ ومن أدراني ؟! إنني رجل ضعيف الذاكرة بطبعي ، و ...
قاطعه (خالد) ، وهو يخرج من جيبه ورقة بمائة دولار ، قائلاً :
ـ يا للمصادفة ! لدى هنا عقار قوى ، يشفى ضعف الذاكرة هذا ..
اختطف الرجل ورقة المائة دولار فى لهفة ، ودسّها فى جيبه بسرعة ، وكأنما يخشى أن يتراجع (خالد) فى موقفه ، وقال :
ـ هل تصدّق .. لقد أنعش عقارك ذاكرتى بالفعل ، وتذكّرت الآن فقط أن ثلاثة أشخاص قد استأجروا منى طائرتى هليوكوبتر ، فى نفس يوم الحادث .. اثنان أتيا معًا ، وثالث جاء منفردًا .
سأله (خالد) فى اهتمام :
ـ هل تذكر هويتهم ، أو اللغة التى يتحدثون بها ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا :
ـ الكل يتحدث الإسبانية هذه الأيام .
أخرج (خالد) من جيبه ورقة أخرى ، من فئة المائة دولار ، وهو يقول :
ـ ولكن بلكنات مختلفة بالطبع .
اختطف الرجل الورقة الجديدة بنفس اللهفة ، قائلاً :
ـ بالتأكيد .
ثم مال نحوه ، مستطردًا :
ـ الشخص المنفرد كان إيرانيًا أو إسرائيليًا على الأرجح ، أما الآخران فهما أمريكيان حتمًا .
سأله فى حذر :
ـ ولماذا حتمًا ؟!
هزّ كتفيه ، قائلاً :
ـ لو أنك تتعامل كثيرًا مع الأمريكيين مثلما أفعل ، لما ألقيت هذا السؤال قط .
انعقد حاجبا (خالد) ، وكأنما يحاول استيعاب هذا المنطق ، ثم عاد يسأله فى اهتمام :
ـ وهل يمكنك تحديد وجهتهم ؟!
أجابه فى سرعة :

ـ الزبون غير ملزم بتحديد وجهته .
غمغم (خالد) :
ـ هكذا ؟!
استدرك الرجل فى سرعة :
ـ إلا أنه هناك دلائل .
سأله (خالد) :
ـ مثل ماذا ؟!
عاد يبتسم فى خبث ، قائلاً :
ـ هذا يعتمد على ...
قاطعه (خالد) فى صرامة :
ـ اسمع أيها الجشع .. لقد منحتك مائتى دولار بالفعل ، وهى أكثر مما تنفقه على نظافتك فى عام كامل ، وأتوقع الحصول على كل المعلومات الممكنة ، دون سنت واحد زائد .. هل تفهم ؟!
مطّ الرجل شفتيه ، وكأنما لا يروق له هذا ، وغمغم :
ـ فليكن .
ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا :
ـ الشخص المنفرد ذهب بالهليكوبتر إلى شاطئ

البحر ، أو أية منطقة مشابهة ، لأن إطارات طائرته كانت تحمل الكثير من الرمال الصفراء عند عودته ، كما أنه قد استغرق وقتًا طويلاً ، فى ذهابه وإيابه ، أما الآخران ، فقد ذهبا إلى الأدغال .

كرّر (خالد) ، وقلبه يخفق فى قوة :

ـ الأدغال ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. الأدغال .. هى وحدها تحوى ذلك النوع من الطمى، الممتزج ببقايا الأعشاب والأوراق الجافة ، الذى عادت به إطارات الهليوكوبتر .. صدقنى يا رجل.. إننى أستطيع تمييزه من رائحته .

صمت (خالد) طويلاً ، وهو يتطلع إليه ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ أنت واثق إذن ؟!

اعتدل الرجل ، ووضع يده على قلبه ، قائلاً فى حزم :

ـ تمام الثقة .

رمقه (خالد) بنظرة أخرى طويلة ، قبل أن يقول فى ارتياح :

ـ أنت تستحق هذا إذن .

وناوله ورقة أخرى ، من فئة المائة دولار ، اختطفها الرجل بلهفة وفرحة غامرتين ، وهو يهتف :

ـ أشكرك أيها السيد .. أشكرك كثيرًا .. أنت على الرحب والسعة هنا دائمًا .

ابتسم (خالد) ، وهو ينطلق بسيارته مبتعدًا ، ومغمغمًا :

ـ المقدّم (نادية) كانت على حق .. هناك هليوكوبتر بالفعل .

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كان رجل المخابرات الأمريكى (هندرسون) يشعل سيجارته ، فى سيارته الكبيرة ، التى تختفى خلف مجموعة كثيفة من الأشجار ، وينفث دخانها فى قوة ، وزميله الذى يحمل مدفع التقاط صوتى حديث(*) يسأله فى اهتمام :

ـ هل تتبعه ؟!

(*) (Gun mic) : أداة أشبه بالمدفع (ومن هنا كان اسمها) ، مصممة لالتقاط الأصوات والأحاديث من مسافات بعيدة ، وبتركيز مباشر ، بحيث تعزل كل الأصوات الجانبية ، وتنقى الصوت الأصلى المطلوب التقاطه ، وبعضها يستخدم أشعة الليزر لمزيد من الدقة .

هز (هندرسون) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ كلا .. دعه يذهب .. لقد كشفنا أمره ، وعلمنا كل ما علمه ، ولن يكون العثور عليه بالأمر العسير ، عندما نرغب فى هذا .

سأله زميله ، وهو يشير إلى صاحب المطار الخاص ، الذى وقف يحصى نقوده فى لهفة :

ـ وماذا عن ذلك الرجل ؟!

نفث (هندرسون) دخان سيجارته مرة أخرى ، وقال فى حزم :

ـ أظننا نستطيع اعتصار المزيد من المعلومات منه ، لو ضغطنا عليه على النحو المناسب .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف :

ـ المهم أن نصل إلى ذلك الأسطورة المفقود ، قبل أى شخص آخر فى الدنيا .

وصمت لحظة ، ثم أكمل بكل حزم وصرامة الدنيا :

ـ وبأى ثمن .

وعاد ينفث دخان سيجارته فى قوة ، وعيناه تتألقان بحزم عجيب ..

ومخيف .

* * *

٥ - منظمة إكس ..

رفع مدير المخابرات المصرية عينيه إلى نائبه فى اهتمام ، وهو يسأله :

ـ هل سافرت (منى) و (نادية) ؟!

أومأ نائبه برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالتأكيد يا سيدى .

ثم أشار بورقة فى يده ، مضيفًا :

ـ و (خالد) أرسل معلومات جديدة من (كوماتا) .

سأله المدير فى لهفة واضحة :

ـ حقًا ؟!

ناوله نائبه الورقة ، قائلاً :

ـ هناك هليوكوبتر تم استئجارها ، والذهاب بها إلى الأدغال بالفعل ، فى نفس يوم الحادث ، وراكباها أمريكيان ، كما يؤكد صاحب المطار ، الذى استأجرا منه الهليوكوبتر ، و (خالد) سيعود إليه مرة أخرى ، مع جهاز كمبيوتر نقال ، ليحصل على وصف تفصيلى لملامح الرجلين ، فلعل هذا يفيد أكثر فى تحديد هويتهما .

سأله المدير ، وهو يطالع الورقة فى اهتمام :

ـ أتظنهما يعملان لحساب المخابرات الأمريكية ؟!

هز نائبه رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس كما يؤكد رجلنا بين صفوفهم ، فعلى حد قوله ، اختفاء العميد (أدهم) يقلقهم بأشد مما يقلقنا ، وخاصة مع معلومات حول منظمة جاسوسية جديدة ، طفت على السطح بغتة ، منذ ساعات قليلة .

اقترب حاجبا المدير ، وهو يسأله :

ـ أية منظمة ؟!

أجابه ملوّحًا بتقرير جديد :

ـ منظمة خاصة جديدة ، للجاسوسية الحرة ، تحمل اسم (منظمة X) ..

سأله المدير فى اهتمام شديد، وهو يلتقط التقرير :

ـ وكيف أعلنت عن وجودها ، أو عرف العالم بأمرها ؟!

أشار نائبه إلى التقرير ، مجيبًا :

ـ لقد أعلنت مسئوليتها عن سرقة غواصة نووية روسية ، صباح هذا اليوم .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يقرأ التفاصيل فى التقرير الذى أمامه ، مغمغمًا :

ـ غواصة نووية .. يا للجرأة !

ثم رفع عينيه إلى نائبه ، مستطردًا فى شىء من السخط :

ـ وأين كان الروس ؟! أين كانت مخابراتهم ، عندما تمت سرقة تلك الغواصة ؟! إنها ليست زورق صيد ، يمكن أن يستولى عليه بعضهم ، ويفرون به بعيدًا ، قبل أن ينتبه لهم خفر السواحل .. إنها غواصة .. وغواصة نووية كاملة ؟! كيف يمكن الاستيلاء على سلاح رهيب كهذا ؟!

هز نائبه رأسه ، مجيبًا :

ـ ليست لدينا معلومات كافية ، حتى هذه اللحظة ، والروس يرفضون كعادتهم الاعتراف بالأمر ، على الرغم من إعلان منظمة (إكس) مسئوليتها عن العملية ، ووجود الغواصة ، بطوربيدين بعيدى المدى ، وصاروخ موجّه ، ذى رأس نووية محدودة بين أيديهم .

غمغم المدير :

ـ إنه أمر بالغ الخطورة بالفعل .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ،

وهو يسير فى الحجرة لدقيقة كاملة فى صمت ، قبل أن يتساءل :

ـ هل يمكن أن يكون لتلك المنظمة يد فى عملية اختفاء (أدهم) ؟!

أجابه فى سرعة ، وكأنما درس هذا الاحتمال فى عقله بالفعل :

ـ ولمَ لا ؟! لقد أعلنوا عن وجودهم بعملية كبيرة بالفعل ، ولا أحد يدرى لمن أو لأية جهة سيوجهون صاروخهم ذى الرأس النووية المحدودة ، ووجود شخص مثل العميد (أدهم صبرى) بين أيديهم يمثل نقطة ضعف كبرى بالنسبة لنا ، إذا ما جدّ الجد .

سأله المدير فى اهتمام متوتر :

ـ إذن فأنت تعتقد أن الجهة أو الأشخاص ، الذين عملوا على اختطاف (ن ـ ١) ، قد فعلوا هذا باعتباره نقطة ضعف ، أو شوكة فى ظهورنا .

أجابه نائبه فى حزم :

ـ بالتأكيد ، وإلا فلماذا يسعون إلى هذا ؟! لماذا يبذلون كل هذا الجهد لاختطافه ، بعد كل إصاباته العنيفة ، كما أكدت اختبارات كمية دمه ، التى عثرنا عليها فى الموقع ؟!

قال المدير ، وهو يشير بسبّابته فى اهتمام :

ـ لا تنس أن بعض خبرائنا يرون أن اختطاف (ن ـ ١) كان نتيجة ثانوية لوصول بعضهم إلى المكان ، عقب الانفجار مباشرة ، وأن السبب الرئيسى كان محاولة إخفاء شىء ما .

سأله نائبه فى سرعة :

ـ مثل ماذا ؟!

هزّ المدير كتفيه ، مجيباً :

ـ من يدرى ، بعد كل ما حدث ؟! الصاروخ (سكاى آى) (م و ـ ٢٢) بدأ برنامجه قبل موعده بنصف الساعة ، وربما كانت هناك وسيلة سيطرة خارجية ، تسببت فى هذا ، والمسئول عنها يحاول إخفاء هذه الحقيقة ، على نحو أو آخر .

رفع نائبه حاجبيه وخفضهما ، مغمغماً :

ـ احتمال راجح آخر يا سيدى .

التقى حاجبا المدير ، وهو يفكر فى عمق ، متطلعاً عبر نافذة حجرة مكتبه ، إلى ساحة مبنى الأمن القومى الداخلية قبل أن يقول فى حزم :

- أبلغ (خالد) و (إبراهيم) بأخبار منظمة (إكس) هذه ، وقل لهما : أن يسرعا بالحصول على ملامح الرجلين ، اللذين استأجرا تلك الهليوكوبتر فى (كوماتا) .. أريد البحث عن هويتهما بأسرع وسيلة ممكنة ، فما دامت تلك المنظمة قد قررت الإفصاح عن هويتها ، فهذا يعنى أن المرحلة القادمة ستحمل لنا الكثير من العنف والخطر ، وأن قتال منظمة (إكس) من أجل إثبات وجودها وقوتها سيكون عنيفًا وشرسًا ..

لم يدر لحظتها كم كانت عبارته صحيحة ..

أو نبوءته ..

فالمنظمة الجديدة أخرجت رأسها إلى السطح ..

وضربت ضربتها الأولى ..

وهذا يحتم عليها أن تثبت وجودها ..

وكفاءتها ..

وقوتها ..

لذا فسيكون القتال عنيفًا وشرًا بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

كل شيء كان يدور ..

كل شيء ..

وبمنتهى العنف ..

وفى أعماقه ، كانت هناك عاصفة عاتية ..

عاصفة من المشاعر ..

والانفعالات ..

والذكريات ..

(مصر) ..

المخابرات العامة ..

(قدرى) ..

(منى) ..

(جيهان) ..

(سونيا جراهام) ..

ابنه ..

(نادية) ..

والأدغال ..

أدغال (كوماتا) ..

مشاهد عديدة امتزجت ببعضها فى عقله المشوش ..

هدير مروحة هليوكوبتر دوى فى أذنيه ..
ودوى رصاصات يهدر فى كيانه ..
رجال يهاجمونه بمدافع آلية ..
ورصاصاته تنطلق ..
والدماء تتفجّر كالأنهار ..
ثم آلام عنيفة فى بطنه ..
وصدره ..
والصاروخ ينطلق ..
ثم يدوى الانفجار ..
وينتهى كل شىء ..
ثم يبدأ فى الدوران ..
والتشتُّت ..
والضياع ..
كل شىء ..
كل شىء ..
وفى بطء شديد ، راح عقله يعيد تنظيم نفسه ..
وذكرياته ..
وأفكاره ..
ومشاعره ..

إنه يرقد على فراش وثير ..
أذناه تلتقطان أزيزًا متقطعًا ..
أنفه يشتمّ رائحة دواء غير مميَّز ..
جلده يشعر بإبر مغروسة ، وأنابيب ملتصقة ، فى كل مكان من جسده ..
وفى بطء أكبر ، أخذت مشاعره تستعيد صفاءها ..
وقدرتها ..
رويدًا رويدًا ..
كانت عيناه مرهقتين ..
وكان جفناه ثقيلين ..
ولكنه قاوم ..
الشىء الوحيد الذى لم يتأثَّر ، فى كيانه كله ، هو إرادته ..
إرادته ، التى صقلتها التجارب، وشحنتها الخبرات ، حتى صارت أكثر صلابة من الفولاذ(*)، وأشد صلادة من الماس نفسه(**)..

(*) الصلابة : هى قدرة المادة على كسر غيرها من المواد .
(**) الصلادة : هى قدرة المادة على خدش غيرها من المواد.

وبهذه الإرادة ، قاوم ثقل جفنيه ..
وفتح عينيه ..
كانت الرؤية غائمة مشوشة في البداية ، ثم راحت تصفو تدريجيًا ، حتى أمكنه تحديد ما حوله ..
كان يرقد بالفعل على فراش طبي مجهز ، في حجرة واسعة كبيرة ، احتشد داخلها عدد من أحدث أجهزة الفحص والقياس ، والمراجعة الطبية ..
لا نوافذ ..
لا فتحات تهوية ..
فقط ثقوب صغيرة رفيعة في السقف ، يتوسطها جهاز إنذار حريق صغير ، وباب واحد مصمت ، دون مقبض داخلي ..
وفي زوايا السقف الأربع ، كانت هناك آلات مراقبة ..
أربع كاميرات ذات زوايا رؤية واسعة ، تتجه نحوه مباشرة كعيون الصقر ..
كان من الواضح أنه موضوع تحت عناية شديدة ..
أو مراقبة مكثفة ..
ولثوان ، راح يعيد دراسة وفحص كل ما حوله ، وعقله يصفو رويدًا رويدًا ، ويستوعب الأمور أكثر وأكثر ..

لقد داوى بعضهم جراحه ، واستخرج الرصاصات من جسده ..
بل لقد أجريت له عمليات جراحية متقنة ..
هناك قليل من الألم ، وكثير من الدوار والضعف ..
وفيما عدا هذا وذاك ، فكل شيء على ما يرام ..
لقد استعاد صفاء ذهنه كاملًا ..
وأطرافه كلها تتحرك على نحو جيد ..
و .....
توقفت أفكاره بغتة ، مع صوت الباب وهو يفتح في هدوء ، فأدار عينيه إليه ، ورأى كهلًا وقورًا يطل إلى المكان بوجه مألوف ، وهو يبتسم ، قائلًا :
ـ إذن فقد استعدت وعيك .
أشار (أدهم) إلى آلات المراقبة في السقف ، مجيبًا في شحوب :
ـ لا ريب في أنك قد علمت على الفور .
أدار الكهل عينيه إلى حيث يشير (أدهم) ، وابتسم ، قائلًا :
ـ آه .. أتقصد هذه ؟! هذا يبدو منطقيًا بالفعل ، ولكن يؤسفني أن أخبرك أن هذه الآلات لا تنقل صورتك إلينا في الواقع .

سأله (أدهم) :

ـ إلى من إذن ؟!

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ إلى شبكة الأنترنت مباشرة ، حيث يراقب بعضهم حركاتك وسكناتك لحظة فلحظة ، في مكان ما من العالم.. قد يكون هنا ، أو في (نيويورك) .. (ألاسكا) .. (موسكو) .. أو حتى (أنتاركتيكا)(*).. من يدري ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، ليهضم قوله هذا ، قبل أن يسأله :

ـ كيف علمت بأمر استيقاظي إذن ؟!

ابتسم الكهل ، قائلاً :

ـ قد يدهشك هذا ، ولكن مستر (X) أبلغنا بأمرك ، عبر شبكة الأنترنت أيضًا .

(*) أنتاركتيكا : قارة مساحتها أربعة عشر مليون كيلو متر مربع ، تحيط بالقطب الجنوبي ، وتحصر مناطق مائية لا تصلح للملاحة ، تعرف أحيانًا بالمحيط المتجمد الجنوبي ، ولكنها في الواقع أجزاء من المحيط الأطلنطي والهندي والهادي ، لا يحيا فوقها سوى طائر البطريق الملكي وبعض الحشرات .

ثم مدّ يده إليه ، مستطردًا :

ـ دعني أقدّم لك نفسي .. الدكتور (ميل براون) .. جرّاح وخبير الطوارئ والإصابات العالمي ، و ...

قاطعه (أدهم) بابتسامة باهتة :

ـ ورئيس قسم الطوارئ ، في مستشفى (لوس أنجلوس) العام .. نعم .. أعرفك جيدًا يا سيدي .. لهذا بدا لي وجهك مألوفًا منذ البداية .

ارتفع حاجبا الدكتور (براون) في دهشة ، وهو يقول :

ـ تعرفني جيدًا .. ولكن كيف ؟! لست أظنني قد التقيت بك من قبل ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يُغلق عينيه :

ـ ولكنك عملت لحسابي أكثر من مرة .

قال الدكتور (براون) بدهشة أكبر :

ـ لحسابك ؟!

ابتسم (أدهم) بابتسامة منهكة ، وهو يجيب :

ـ لحساب مؤسسة (أميجو صاندو) ..

هتف الرجل ، بكل دهشة الدنيا :

ـ مؤسسة (أميجو) ؟! يا إلهي ! أأنت سنيور (أميجو) الشهير ؟! أأنت الرجل الغامض ، الذي يتحدث عنه الكل كأسطورة ، في عالم المال والمشروعات الاقتصادية الـ ...

قاطعه (أدهم) بنفس الابتسامة المرهقة :

ـ لا تبالغ كثيرًا يا دكتور (براون) .

قال الدكتور (براون) في حماس :

ـ لست أبالغ مطلقًا .. صدقني .. لقد عملت لحسابك أكثر من مرة بالفعل ، ويمكنني الجزم ، دون لحظة واحدة من التردد ، بأنك أفضل من عملت لحسابهم ، وأكثرهم كرمًا وعدلاً وإنصافًا وتقديرًا ، و ...

قاطعه (أدهم) :

ـ قلت : لا تبالغ .. ولا تضيع وقتنا في المجاملة .

ثم اكتسب صوته حزمًا واضحًا ، وهو يضيف :

ـ ولنستغل الوقت في تبادل بعض المعلومات .

قال الطبيب في دهشة :

ـ معلومات ؟! مثل ماذا ؟!

تطلّع إليه (أدهم) مباشرة ، وهو يسأله في حزم صارم ، يفوق كثيرًا حالته الصحية الحالية :

ـ من هو مستر (X) هذا ؟!

بدا التوتر على وجه الطبيب ، وازدرد لعابه في اضطراب واضح ، وهو يختلس نظرة مذعورة إلى كاميرات المراقبة ، قبل أن يجيب في عصبية :

ـ صدقني يا سنيور (أميجو) .. لست أدري أي شيء عنه .. أو عن كل ما يحدث هنا ، ولم ألتق بأي مخلوق ، منذ وصلت إلى هنا .. كل الأوامر نتلقاها عبر شبكة الانترنت ، وهناك كاميرات مراقبة في حجراتنا أيضًا ، وكل شيء هنا يدار إليكترونيًا .. حتى الطعام والشراب نحصل عليهما من خلال نظام إليكتروني دقيق ، على نحو يوحي بأن مستر (X) هذا يصرّ على أن يظلّ مجهولاً غامضًا طوال الوقت ، ليراقبنا ونحن داخل مخبأه هذا ، وسط أدغال (كومانا) ..

صمت (أدهم) لحظة ، وهو يتطلّع إلى إحدى كاميرات المراقبة مباشرة ، ثم لم يلبث أن أدار عينيه إلى الدكتور (براون) ثانية ، وهو يقول :

ـ كلنا سجناء هنا إذن .. في مكان ما ، من قلب أدغال (كومانا) .

رمقه الطبيب بنظرة عصبية ، مغمغمًا في حذر :

ـ كلنا ؟!

سأله (أدهم) :

ـ ماذا كنت تتصوّر إذن ؟!

أشار إليه الدكتور (براون) ، مغمغمًا في توتر :

ـ كنت أظنك .. أعني أن .....

أكمل (أدهم) في حزم :

ـ أحد أتباع السيّد (X) هذا .. أليس كذلك ؟!

بدا الارتباك على الطبيب ، وهو يغمغم :

ـ الواقع أنه .. احم .. إنه يوليك عناية فائقة ، أكثر مما رأيت في حياتي كلها .. لقد منحنا أجورًا سخية للغاية ، وطلب منا بذل كل جهد ممكن لإنقاذك ، مهما تجشم هذا من جهد ، أو تكلف من مال ، والشخص الذي يفعل كل هذا ، ويبذل كل ما بذل ، لن يسعى لإنقاذ شخص لا يعنيه أمره أو مستقبله .

كان التفسير منطقيًا للغاية ، حتى إن عقل (أدهم) انطلق يعمل كالصاروخ ..

من يفعل هذا حقًا ؟!

من يمكن أن يسعى لإنقاذه ، بكل هذا الإصرار ؟!

إنها ليست المخابرات المصرية حتمًا ..

أو أية جهة تنتمي إليها ..

فلو أنها كذلك ، لسعت لنقله إلى أقرب مستشفى ..

وعلى نحو مباشر ..

وبإجراءات رسمية تمامًا ..

حتى وإن كان من الضروري إخفاء أمره ..

أو حمايته ..

هناك قواعد لمثل هذه الأمور ..

وهو يحفظها عن ظهر قلب ..

ثم إن المخابرات المصرية لن تنشيء مخبئًا سريًا كهذا ، في أدغال (كومانا) ..

لا يوجد سبب منطقي واحد ، يدفعها إلى فعل هذا ..

ليس بهذا الأسلوب على الأقل ..

من غيرها إذن يمكن أن يهتمّ بأمره على هذا النحو ؟!

من ؟!

ومرة أخرى ، تطلع إلى كاميرات المراقبة ، وهو يواصل تساؤلاته ، فى أعمق أعماقه ..

إنها ليست دونا (كارولينا) أيضًا ..

ليس هذا أسلوبها ..

من إذن ؟!

من يسعى لإنقاذه وسجنه ومراقبته طوال الوقت ؟!

من يمكن أن يجمع بين كل المتناقضات فى آن واحد ؟!

لا يوجد سواها ..

(سونيا) ..

(سونيا جراهام) ، عدوته وزوجته السابقة(*) ..

من غيرها ، فى الكون كله ، يمكن أن يتعامل معه بحب وبغض معًا ؟!

من غيرها يقاتل لإنقاذ حياته ، ثم يسجنه ويراقبه بمنتهى الحرص ؟!

من ينفق ثروة طائلة ليحظى بكل هذا ؟!

ولكن ماذا تفعل (سونيا) هنا ؟!

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم ٨٩

لماذا تقيم وكرًا كهذا ، فى قلب أدغال (كوماتا) ؟!

إنها لم تتنبأ بإصابته حتمًا ..

ولا بنجاته من انفجار رهيب كهذا !

وليس هناك مبررًا واحد ، لتصنع وكرًا كهذا ، فى قلب الأدغال ..

ما لم تكن تنوى الاستقرار هنا لفترة ما ..

ولسبب ما ..

ولكن لا ..

لو أن (سونيا) قد أقامت هذا الوكر ، كمستقر جديد لها ، فلن تعمل على نقله إليه حتمًا ..

لن تكشف موقعها ووجودها ..

مهما كان الثمن ..

إلا إذا ..

لم يكن الاحتمال قد برز فى عقله بعد ، عندما سمع دقات متوترة على باب الحجرة ، أعقبها دخول سكرتيرة الدكتور (براون) الشابة ، حاملة جهاز كمبيوتر نقال ، وهى تقول فى توتر :

- إنه يطلب التحدث إليه .

التقى حاجبا (أدهم) ، فى حين قال الدكتور (براون) فى توتر :

ـ من يطلب ماذا ؟!

هزّت كتفيها ، ورفعت الكمبيوتر النقّال إلى أعلى أكثر ، مجيبة :

ـ السيّد (X) .. إنه يطلب الاتصال بالسيّد الراقد هنا مباشرة .

سألها (أدهم) فى اهتمام صارم :

ـ عبر شبكة الإنترنت بالطبع .. أليس كذلك ؟!

وضعت الكمبيوتر النقّال على ساقيه ، وهو يرقد على فراشه ، وأجابت فى توتر ملحوظ :

ـ بلى .. كل شىء معد .. الاتصال يتمّ بالفعل ، عبر دائرة لاسلكية خفية ، تنقل إشاراتك إلى مكان ما داخل هذا المكان ، ومنه يتم نقلها بوسيلة ما ، إلى شبكة الإنترنت .

تطلّع إلى شاشة الكمبيوتر المضيئة ، وهو يغمغم :

ـ عبر الأقمار الصناعية بالتأكيد .

هزّت كتفيها مرة أخرى ، مغمغمة :

ـ ربما .

مطّ الطبيب شفتيه ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. سأغادر المكان ، بعد الاطمئنان على السنيور (أميجو) ، وعليك بنقل كلماته إلى الإنترنت كله ..

قاطعته فى عصبية :

ـ كلا .. هذا محظور .. السيد (X) أمر بتركه وحده تماماً فى أثناء إتمام الاتصال .

وعضّت شفتها السفلى، لتزيدها احمراراً وانتفاخاً ، قبل أن تضيف :

ـ هناك أسرار سيتبادلانها حتماً .

غمغم الطبيب ، وهو يرمق (أدهم) بنظرة حذرة :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار بيده ، مستطرداً :

ـ هيا بنا إذن، ليتمّ السيدين اتصالهما دون إزعاج.

وافقته بإيماءة من رأسها ، وتبعته إلى الباب الوحيد بالحجرة ، وقبل أن تغلقه خلفها ، التفتت إلى (أدهم) بابتسامة كبيرة ، قائلة فى دلال :

ـ جميل هو اسمك هذا يا سنيور (أميجو) .. كلاكما يروق لى كثيراً .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ كلانا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت بدلال أكثر :

ـ نعم .. أنت واسمك .

ثم غادرت المكان، وأغلقت الباب خلفها فى هدوء ..

والتقطت أذنا (أدهم) صوت رتاج قوى يغلق من الخارج ..

وهذا يعنى أنه سجين بالفعل ، داخل ذلك الوكر الإليكترونى ، فى قلب أدغال (كومانا) ، دون أن يدرى من فعل به هذا ؟!

ولماذا ؟!

لم يكد التساؤلان يقفزان إلى ذهنه ، حتى ارتسمت على الشاشة كلمات إنجليزية كبيرة ، تقول :

ـ جميل أنك قد استعدت وعيك فى النهاية .. أكان من المحتم أن تستغرق أسبوعًا كاملًا لتفعل ؟!

انعقد حاجباه ، وقد انتبه ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنه قد ظل فاقد الوعى لأسبوع كامل ، وأن ما يشعر به من ضعف هو رد فعل طبيعى لهذا ، ولكنه قاوم إرهاقه ، واعتدل فى رقدته ، ليرد بأصابعه على الرسالة :

ـ إلى من أتحدث بالضبط ؟!

أتاه الجواب فى سرعة :

ـ يمكنك أن تخاطبنى باسم مستر (X) .

قالت أصابعه بأسلوب ساخر :

ـ مستر (X) أم مسز (X) ؟!

تأخر الجواب بضع لحظات هذه المرة ، قبل أن تحمل الشاشة عبارة جديدة ، بنفس الحروف الكبيرة :

ـ دعنا نكتفى بـ (X) فقط ، دون ألقاب .

ارتسمت على شفتيه ، على الرغم من ضعفه ، ابتسامة ساخرة ، وهو يكتب :

ـ فليكن .. ماذا تريد منى بالضبط يا (X) ؟!

أتاه الجواب مسرعًا :

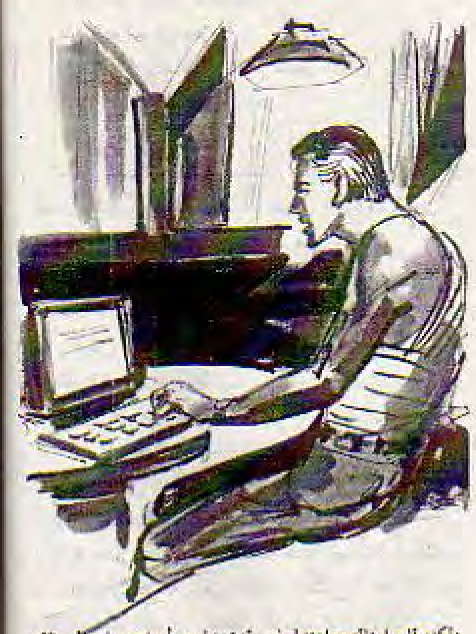
ـ أريد أن أستخدمك كسلاح ..

سأله (أدهم) :

ـ سلاح فى يد من ، وضد من ؟!

جاء الجواب بعد برهة من السكون :

ـ لم يحن بعد وقت إجابة هذا السؤال ، ولكن ما أريدك أن تعرفه ، فى الوقت الحالى ، هو أن أية محاولة منك للفرار ، ستعنى نسف المكان كله ، بكل



ولكنه قاوم إرهاقه ، واعتدل فى رقدته ؛ ليرد بأصابعه على الرسالة :
ـ إلى من أتحدث بالضبط ؟!

ما فيه ، ومن فيه .. ولأننى أعرف الكثير .. والكثير جداً عنك ، فأنا أدرك جيداً أن نقطة ضعفك القوية هى أنك لا ترضى أبداً أن يدفع الآخرين ثمن حماقاتك .. وهذا يعنى أنك ستبقى داخل سجلك الاختيارى هذا ، حتى تحين لحظة احتياجى إليك .

سأل (أدهم) فى غضب :

ـ وهل تعتقد أننى سأخضع لتهديد سخيف كهذا ؟!

وساد الصمت والسكون ..

سادا طويلاً جداً ، حتى بدا من الواضح أن المحادثة قد انتهت .

من جانب واحد ..

وازداد انعقاد حاجبى (أدهم) ..

وتضاعف غضبه ..

ألف مرة ..

وبكل الحزم والغضب والصرامة ، رفع عينيه إلى واحدة من كاميرات المراقبة ، قائلاً :

ـ فليكن أيها الوغد ، أيا كانت هويتك .. سنرى ما الذى ستحمله لنا الأيام القادمة .

لم يتلقَ جوابًا بالطبع ، فأغلق جهاز الكمبيوتر النقّال ، وأزاحه جانبًا ، ثم تراجع في مجلسه ، حتى صار شبه راقد ، وأطلق لعقله العنان ..

ومرة أخرى ، راح عقله يعيد تنظيم نفسه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفي كل مرة ، كانت هناك أمور جديدة تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

فحديثها عن نقطة الضعف فجّر في أعماقه تساؤلات جديدة ..

وأفكارًا جديدة ..

وقوية ..

للغاية .

* * *

٦ - الرجل ..

أوقف رجل المخابرات المصري (خالد) سيارته ، أمام مكتب صاحب مطار (كومانا) الخاص ، المقام في العراء ، عند أطراف المكان ، وغادرها حاملاً جهاز الكمبيوتر النقّال الصغير ، الذي يحوي برنامج تحديد الهوية ، ودق باب المكتب ، قائلاً بصوت مرتفع :

- سنيور (جارديو) .. لقد عدت للحصول على بعض المعلومات بالأجر نفسه ، كما سبق أن اتفقنا .

كانت نوافذ المكتب مضاءة ، وجهاز البث الموسيقي يعمل بصوت مرتفع إلى حد ما ، وكل شيء يوحي بأن الرجل بالداخل ، لذا فقد عاد (خالد) يطرق الباب ، قائلاً :

- سنيور (جارديو) .. أنا هنا .

لم يتلقَ جوابًا ، في هذه المرة أيضًا ، فالتقى حاجباه في شك متوتر ، وهو يدفع الباب ، مكررًا :

- سنيور (جارديو) .

استجاب الباب لدفعته ، على نحو ضاعف من شكه ، فاستلّ مسدسه ، ودفع الباب أكثر ، وهو يتلفت إلى المكان فى حذر متحفز ، و ...

وانعقد حاجباه فى شدة ..

فخلف مكتبه مباشرة ، كان (جارديو) يجلس على مقعده الضخم الوثير ، وقد انحفر ثقب دام فى منتصف جبهته تمامًا ..

أما باقى ملامحه ، ويداه المحطمتان على سطح المكتب ، فكلها توحى بأنه قد تم تعذيبه بقسوة ووحشية بالغتين ، قبل أن يُطلق عليه الرصاص ..

وتلفت (خالد) حوله فى سرعة وتوتر ..

صحيح أنه لم يسمع دوى أية رصاصات ، ولكن من الواضح أن القاتل لم يبتعد كثيرًا ..

أو أنه لم ينصرف بعد ..

ولقد تأكد بنفسه من هذا ..

جثة (جارديو) ما زالت دافئة ..

وهذا يعنى أنه قد لقى مصرعه منذ لحظات ..

والقاتل لم يحاول إغلاق الباب خلفه ..

أو أمامه ..

وبفحص سريع ، توقف بصره عند باب خزانة ملابس كبيرة ، ملحقة بالمكتب ..

كان يبدو وكأنه مغلق ..

ولكنه ليس كذلك ..

وفى براعة ، تظاهر (خالد) بأنه لم ينتبه إلى هذا ، وبأنه يعيد فحص المكان ، متجهًا نحو خزانة الملابس فى خفة ، و ...

وبوثبة واحدة ، أمسك مقبض الباب ، وفتحه عن آخره ، وهو يصوّب مسدسه داخله ..

ودوت طلقة مكتومة صامتة ، من داخل الخزانة ..

ومال (خالد) جانبًا ..

ولكن الرصاصة اخترقت كتفه اليسرى ..

وبرد فعل تلقائى غريزى ، ارتفعت قدمه تركل المسدس ، من يد خصمه ، الذى لم يكد يفقد سلاحه ، حتى انقضّ فى شراسة على (خالد) ..

واشتبك الاثنان فى قتال عنيف ..

كان الخصم قويًا عنيفًا ، يقاتل بمهارة واضحة ، على نحو يوحى بخبرته وكفاءته ، فى هذا المضمار ..

ولكن (خالد) أيضًا كان مقاتلاً صنديدًا ..

لقد انتخبته المخابرات المصرية بدقة كبيرة ، من بين صفوف القوات الخاصة ، المؤهلة لمكافحة الإرهاب ..

وعلى الرغم من الرصاصة ، المستقرة في كتفه ، كان يقاتل بأسلوب يثبت أن لجنة الترشيح والاختيار كانت بارعة وموفقة ..

إلى أقصى حد .

وبلكمة كالقنبلة ، هوى بها على فك خصمه ، اندفع هذا الأخير إلى الخلف في عنف ، وارتطم بباب الخزانة ، ثم ارتدّ عنه ككرة من المطاط ، ليستقبله (خالد) بلكمة كالمطرقة في معدته ، وأخرى ساحقة في أنفه ..

وهوى الرجل ..

وقبل حتى أن يفيق من عنف الضربات ، جذبه (خالد) من عنقه ، قائلاً في صرامة شديدة :

ـ من أنت ؟! ولماذا قلت (جارديو) ؟!

حاول الرجل أن يبتسم في سخرية ، وهو يبصق بعض الدم ، قائلاً :

ـ هل تتوقع الحصول مني على الأجوبة ؟!

انغرست أصابع (خالد) في عنقه ، والتصقت فوهة

مسدسه الباردة في صدغه ، وهو يقول بنفس الصرامة المخيفة :

ـ بل أتوقع المزيد أيضًا يا هذا .. قتالك يشف عن طبيعة محترف ، تلقى تدريبات منتظمة دقيقة ، ولكنك في نطق الإسبانية تشير في وضوح إلى هويتك الأمريكية ، مما يجعل الاستنتاج منطقيًا ، بسيطًا ، ومباشرًا .

بصق الرجل واحدة من أسنانه مع المزيد من الدماء ، وهو يقول في عصبية :

ـ وما هو أيها العبقري ؟!

أجابه في حزم ، وبلغة أمريكية سليمة :

ـ أنت تعمل لحساب المخابرات الأمريكية .

انعقد حاجبا الرجل في توتر ، ودارت عيناه إلى ما خلف كتف (خالد) المصابة ، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها صوت صارم ، يقول :

ـ رائع أيها المصري .. من الواضح أن مخابراتكم تجيد انتقاء رجالها .

استدار (خالد) إلى مصدر الصوت ، ورأى فوهة المسدس المزوّدة بكاتم للصوت ، المصوّبة إلى رأسه

مباشرة ، وخلفها وجه (هندرسون) ، يتابع فى سخرية صارمة شامتة :

- ومن المؤسف أن يفقدوا رجلاً مثلك بهذه البساطة .

قال (خالد) فى صرامة ، دون أن يبدو عليه أدنى أثر للخوف :

- السؤال هو : لماذا ينبغى أن يحدث هذا يا (هندرسون) ؟!

انعقد حاجبا (هندرسون) ، وهو يقول فى توتر عصبى :

- هل تعرفنى ؟!

نهض (خالد) واقفًا ، وهو يقول فى حزم :

- بالتأكيد يا (مارك هندرسون) .. لقد راجعت ملفك بنفسى ، منذ تسلمت عملى فى (أمريكا الجنوبية) ، فكلانا متخصص في العمل ، فى هذه البيئة ، وكان من الطبيعى أن أتوقع لقاءنا ذات يوم .

رمقه (هندرسون) بنظرة صامتة طويلة ، تحمل الكثير من الغضب والتوتر والسخط ، قبل أن يجذب مشط مسدسه ، قائلاً :

- ألم أقل لك : إنهم يجيدون اختيار رجالهم .

تجاهل (خالد) الفوهة المصوَّبة إليه ، وهو يشير إلى جثة (جارديو) ، قائلاً :

- لماذا قتلتموه بهذه القسوة ؟! هل خشيتم أن يكشف أمرًا ما ؟!

هزَّ (هندرسون) كتفيه ، قائلاً فى سخرية :

- وما الذى يمكن أن يكشفه ؟!

أجابه فى صرامة :

- تورطكم فى اختفاء رجلنا مثلاً .

عاد حاجبا (هندرسون) ينعقدان ، وهو يقول :

- هل تعنى أنكم تجهلون أين هو بالفعل ؟!

مطَّ (خالد) شفتيه ، قائلاً :

- أهذا اعتراف بالتورط ؟!

قال (هندرسون) فى غلظة :

- أى تورط أيها المصرى ؟! لو أننا ظفرنا برجلكم الأسطورى هذا ، بأية صورة من الصور ، لقضينا عليه بلا تردد .. إنه نقطة ضعف كبيرة فى نظامنا كله ، ولن نسمح له بالبقاء قط ..

بدا الارتياح على وجه (خالد) ، وهو يقول :

- إذن فأنتم تبحثون عنه مثلنا .

أجابه (هندرسون) فى صرامة :

- بل أفضل منكم أيها الذكى ، والدليل على هذا أننى أقف الآن ، مصوبًا مسدسى إليك ، ورصاصتى تستعد لاختراق رأسك بلا رحمة .

ابتسم (خالد) فى سخرية ، قائلاً :

- إذن فأنت كقومك تؤمن بالقوة ، وبأن من يصوّب السلاح هو المنتصر دائمًا .

أجابه (هندرسون) ، وهو يرفع فوهة المسدس ، ويسددها إلى جبهته بإحكام :

- بالتأكيد أيها المصرى .. هيا .. قل وداعًا لهذه الحياة ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، قاطعه صوت من خلفه ، يقول :

- يبدو أننا نتفق معك هذه المرة يا (هندرسون) .

انتفض جسد (هندرسون) فى عنف ، وندت منه حركة توحى بأنه سيستدير لمواجهة صاحب الصوت ، الذى تابع فى صرامة :

- إياك حتى أن تفكر فى هذا ..

ثم تقدّم منه ، وانتزع المسدس من يده ، فى حين ابتسم (خالد) ساخرًا ، وهو يقول :

- يسعدنى أن أقدم لك زميلى .. لقد وصل بعدى بعشر دقائق ، طبقًا لأحد نظم الأمن ، المتبعة عالميًا ، والتى كان ينبغى أن تتخذوا الحيطة تجاهها .

احتقن وجه (هندرسون) فى شدة ، وعضّ شفتيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين دفعه (خالد) أمامه نحو زميله ، وهو يقول :

- والآن دعنا نرى جزءًا آخر من براعتكم كرجلى مخابرات ، وليقيّد أحدكما الآخر بإحكام ، وسنتولى نحن أمر الآخر .. وأعتقد أنه من الأفضل أن يقيّدك زميلك يا (هندرسون) .

راح الأمريكى يقيّد (هندرسون) فى إحكام ، وهذا الأخير يقول فى غضب :

- لو أننى فى موضعكم لأطلقت النار علىّ بلا تردد ، فبقائى على قيد الحياة يعنى أننى لن أهدأ قط ، حتى أنتقم منكما .

أجابه (إبراهيم) ، زميل (خالد) ، فى هدوء :

- خطأ آخر يا رجل .. لا مجال للانتقامات الشخصية فى عالمنا .. ادخر جهودك لأداء مهمتك فحسب .

أخذ (خالد) يقيد الأمريكي الآخر ، بعد أن انتهى من إحكام قيد زميله ، و (هندرسون) يقول في غضب شديد :

ـ قتلكما جزء لا يتجزأ من مهمتي أيها المصري .. لا بد وأن أظفر برجلكم ، قبل أن تصلوا إليه .. هذا لو أنه على قيد الحياة ، بعد انفجار ، كالذي حدث في قاعدة الإسرائيليين .

اعتدل (خالد) ، وتطلع إليه لحظة في صمت ، قبل أن يقول :

ـ يا للخسارة ! لو أنكم نسيتم غروركم وغطرسة القوة التي تملأ نفوسكم لحظة واحدة ، لأدركتم أن تعاوننا يمكن أن يحقق نتائج أفضل ، وخاصة مع ظهور منظمة (إكس) الجديدة .

انعقد حاجبا (إبراهيم) ، دون أن يعلق بحرف واحد ، في حين قال (هندرسون) في عصبية :

ـ منظمة (إكس) ؟! وما هي بالضبط ؟! خدعة جديدة .

أجابه (خالد) :

ـ بل منظمة جاسوسية خاصة جديدة ، برزت إلى

الوجود منذ بضع ساعات فحسب ، وأعلنت عن نفسها بسرقة غواصة نووية سوفيتية ، ونحن نشك في تورطها في عملية اختفاء رجلنا .

ازداد انعقاد حاجبي (إبراهيم) ، في حين حدق (هندرسون) في وجه (خالد) لحظة ، بمزيج من الدهشة والشك ، قبل أن يقول في عصبية :

ـ لست أصدق حرفًا واحدًا من هذا .. الغواصات النووية ليست دراجة بخارية يمكن سرقتها بهذه البساطة .

ابتسم (خالد) ، قائلاً :

ـ فليكن .. أرفض تصديق الأمر تمامًا ، ولكن تذكر اسمي جيدًا ، عندما يبلغك رؤساؤك بما ستضطر لتصديقه .

ثم التقط قطعة من القماش ، ودسها في فم (هندرسون) ، قائلاً :

ـ هذا بعد أن يسعدك الحظ بالخروج من هنا .

وتركه يقاوم قيوده مع زميله ، وغادر المكان مع (إبراهيم) ، الذي قال في حنق ، وهما يستقلان سيارتهما :

- أكان من الضرورى أن تخبره بكل هذا ؟! أين تعلمت قواعد الأمن والسرية يا رجل ؟!

أجابه (خالد) فى حزم :

- منظمة (إكس) أعلنت عن نفسها بالفعل ، وستصله الأخبار إن عاجلاً أو آجلاً ، ولكننى أردت أن يعلمها منا أولاً ؛ لأكسر أنف غطرسته وغروره .

سأله (إبراهيم) وهما ينطلقان :

- لماذا أخبرته بشكوكنا حول تورط منظمة (إكس) تلك ، فى أمر اختفاء العميد (أدهم) ؟!

صمت (خالد) لحظة ، قبل أن يجيب بحزم أكبر :

- لأن هذا سيدفعه إلى محاولة إثبات هذا أو نفيه .

ثم انعقد حاجباه بشدة ، وهو يستطرد :

- لقد أضاع منا فرصة ثمينة بقتله (جارديو) ، وعليه أن يعوضنا عنها .. بنفسه .

نطقها بمنتهى الصرامة والحزم ، وهو ينطلق بالسيارة مبتعداً ، تاركاً (هندرسون) خلفه ، وعقله يكاد يشتعل ، من شدة الانفعال والتفكير ، و ... والغضب .

* * *

اندفع الدكتور (براون) وسكرتيرته ، وثلاثة من فريق التمريض ، فى توتر بالغ ، إلى حجرة (أدهم) ، وهتفت السكرتيرة فى عصبية :

- الأنوار مطفأة .. أضيئوا الحجرة على الفور .

أسرعت إحدى الممرضات تضغط زر الإضاءة ، ليسطع الضوء فى الحجرة المظلمة ، ولم تكد تفعل حتى شهقت فى قوة ، وتراجعت فى حركة حادة ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها الدكتور (براون) ذاهلاً :

- سنيور (أميجو) .. إنك تقف على قدميك ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، الذى يقف فى منتصف الحجرة تماماً ، وقد تخلص من كل ما كان يتصل بجسده من أسلاك وأنابيب ، وقال متهكماً :

- ولماذا يدهشك الأمر ؟! إننى أقف على قدمىّ ، منذ بلغت عامى الأول من العمر .

تضاعف ذهول الطبيب ومرافقيه ، وهو يقول مرتبكاً :

- الواقع أننى لم أكن أتوقع هذا قبل .. قبل ..

لم يستطع إكمال عبارته ، فتنحنح ، قائلاً :

ـ فليكن يا سنيور (أميجو) .. عد إلى فراشك لأقوم بفحصك ، حتى أطمئن إلى سلامتك ، بعد أن فعلت هذا بنفسك .

أشار (أدهم) بذراعه ، قائلاً :

ـ لا عليك .. إننى أشعر أن كل شىء على ما يُرام .. ربما كان هناك قليل من الألم ، ولكن لا ضعف أو تشوش أو دوار .. من الواضح أن رعايتك الجيّدة ستضمن لى الشفاء العاجل ـ بإذن الله ـ يا دكتور (براون) .

غمغم الطبيب فى دهشة :

ـ حقًا ؟!

أجابه (أدهم) مبتسمًا ، وهو يتطلّع إلى إحدى كاميرات المراقبة :

ـ بكل تأكيد .

بدا مزيج من السعادة والارتياح على وجه الطبيب ، واتسعت ابتسامته فى شىء من الزهو ، ولكن سكرتيرته همست فى أذنه بكلمات سريعة ، عاد بعدها يتجهّم فى توتر ، وهو يقول :

ـ سنيور (أميجو) .. عد إلى فراشك .. أرجوك .

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره فى صرامة ، وهو يقول :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟! هل ستطلق علىَّ النار ؟!

ارتبك الطبيب مرة أخرى ، وقال :

ـ عفوًا يا سنيور (أميجو) ، ولكن التعليمات ..

قاطعه (أدهم) مرة أخرى ، بصرامة أكبر :

ـ ومن قال إننى أنوى الالتزام بالتعليمات ؟!

بُهتَ الجميع لجوابه ، وارتسم عليهم ذعر واضح ، وإحدى الممرضات تهتف :

ـ أرجوك أيها السيّد .. لقد حذرونا من مخالفتك للقواعد والتعليمات ، وأكّدوا أنهم سيواجهون هذا بمنتهى الشدّة والحزم .

اتجه (أدهم) نحوها مباشرة ، وهو يقول :

ـ دعينا نختبر صدقهم فى هذا إذن .

وأزاحها متجهًا إلى الباب ، فصاح الطبيب مذعورًا :

ـ لا يا سنيور (أميجو) .. أرجوك .

لم تكد صيحته تكتمل ، حتى صدر أزيز خافت فى المكان ، أعقبه صوت أشبه بالفحيح ، اقترن بانطلاق سهم صغير ، من فجوة غير ملحوظة بالسقف .

وانغرس ذلك السهم في كتف (أدهم) ..
مباشرة ..

كان من الواضح أن أولئك الذين يختفون خلف الرمز (X) ، يجيدون استخدام التكنولوجيا بكل أنواعها ، إلى حد مدهش ..

حتى في رصد الهدف ، والتصويب نحوه ، بوساطة كاميرات المراقبة ، ومدفع موجّه خفي ..

أما السهم ، فقد كان يحوي مادة ما ..

ومادة قوية للغاية ..

فعلى الرغم من أن (أدهم) قد انتزعه من كتفه ، فور شعوره بألم اختراقه ، وألقاه أرضًا في عنف ، وهو يقول ساخرًا :

ـ آه .. هذا ما سيفعلونه إذن .

إلا أن ذلك الدوار العنيف عاوده بغتة ، فمادت به الأرض ، وغامت أمام عينيه الرؤية ، وحاول أن يضيف حرفًا واحدًا ..

أو يتقدّم خطوة واحدة إلى الأمام ..

ولكن الأمور تطوّرت بسرعة مدهشة ..

وانتهى كل شيء بغتة ..

وفي أسف شديد ، تطلّع الدكتور (براون) إلى (أدهم) ، الذي سقط أرضًا فاقد الوعي ، إثر العقار المخدّر القوي ، وهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ كان ينبغي أن يتبع التعليمات .

ثم التفت إلى سكرتيرته ، مستطردًا :

ـ أرسلي تقريرًا بما حدث ، و ...

بتر عبارته ، وارتفع حاجباه عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ أين هي ؟! أين ذهبت ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى رأى سكرتيرته تعود إلى حجرة (أدهم) ، بوجه شاحب ممتقع مضطرب ، فسألها في قلق :

ـ أين ذهبت ؟! وماذا حدث ؟!

أشارت بيدها إلى كاميرات المراقبة ، قائلة بصوت ينافس وجهها شحوبًا واضطرابًا :

ـ لقد شاهدوا كل ما حدث .

سألها في هلع :

ـ هل أرسلوا تعليمات جديدة ؟! أهذا ما دفعك إلى الانصراف ؟! هل سمعت صفارة الكمبيوتر ، التي

تعلن استقبال رسالة جديدة ، عبر شبكة الأنترنت ؟!
هل ..

قاطعته بإشارة عصبية من يدها ، فابتلع باقى عبارته فى توتر ، وتطلع مع فريقه كله إليها فى ترقب مذعور ، فازدردت هى لعابها فى صعوبة ، قبل أن تجيب بصوت أكثر شحوبًا واضطرابًا :

ـ مستر (X) طلب منا أن نستعد للرحيل ، فالأمور كلها ستتغير .. ستتغير تمامًا .

وهوت قلوبهم جميعًا بين أقدامهم ..
فى عنف ..

* * *

أطل خوف غريزى من عينى الطفل الصغير ، ذى الأعوام الأربعة ، وهو يتطلع إلى الرجل القوى ، الأشيب الفودين ، الذى دلف إلى حجرته ، وراح يتطلع إليه لبعض الوقت ، بنظرة خاوية جافة ، جعلت الصغير يقول بدموع حبيسة :

ـ أين أمى ؟!

رمقه (تيودور زيلمان) ، مدير (الموساد) الإسرائيلى بنظرة صارمة ، وهو يسأله بلهجة أشد جفافًا من نظرته :

ـ هل تعرف من هى أمك بالضبط ؟!

تفجرت الدموع من عينى الصغير ، وهو يهتف :

ـ أين أمى ؟! أريد أمى ؟!

صاح به (زيلمان) :

ـ اصمت وإلا صفعتك على وجهك .

تراجع الصغير فى خوف ، وأطلت من عينيه الدامعتين نظرة هلعة مذعورة ، وهو يرفع يده بحركة غريزية ، وكأنما يحمى وجهه من تلك الصفعة المتوقعة ، فى حين سأله (زيلمان) فى صرامة :

ـ ما اسمك ؟!

أجابه الطفل مرتجفًا :

ـ (سولومون) .. اسمى (سولومون) .

سأله فى صرامة أكثر :

ـ (سولومون) من ؟!

عادت دموع الصغير تتدفق فى غزارة ، وهو يجيب :

ـ (سولومون إفرام صرّوف) .

انعقد حاجبا (زيلمان) ، وارتسمت على شفتيه ، فى الوقت ذاته ، ابتسامة ظافرة كبيرة ..

نعم .. لقد كان مصيبًا منذ البداية ..

(سولومون إفرام صرُوف) ..

اسم تم اختياره بذكاء ودقة بالغين ..

فـ (سولومون) هذا اسم عبرانى ، ولكنه نفس المنطوق العبرى لاسم (سليمان) ، الذى يصلح كاسم مصرى صميم أيضًا ..

و (إفرام صرُوف) اسم يهودى شرقى ، يتناسب تمامًا مع مهاجر أتى إلى (إسرائيل) من (مصر) ..

وهو يبدأ ، فى الوقت ذاته ، بحرفى الألف والصاد ..

نفس بدايات اسم (أدهم صبرى) ..

(سونيا) كانت بارعة وخبيثة للغاية ، وهى تنتقى اسم ابنها ..

إنه حتمًا ليس اسمه الحقيقى ..

إنها لن تجازف مطلقًا بإيداعه فى مدرسة داخلية ، فى قلب (إسرائيل) ، باسمه الحقيقى ..

لن تجازف بأن يكشف الإسرائيليون سرّه ..

أو بأن يتوصّل إليه والده ..

والده ، الذى ما زال الكل يتساءل ، بكل حيرة الدنيا ، كيف ارتبطت به ، وتزوّجته ، وأنجبت منه ابنًا أيضًا(*) ..

كيف تحولت عداوتها العنيفة الطويلة إلى مصالحة ؟!

وحب ؟!

وزواج ؟!

كيف ؟!

ولكن كل هذا لا يهم ..

لم يعد يهم ..

المهم الآن هو أن ابن (أدهم صبرى) بين أيديهم الآن ..

ابنه الوحيد ..

ونقطة ضعفه الوحيدة ..

وهذا يجعلهم يربحون المعركة ، أيًا كانت الظروف ..

فلو أن (أدهم) قد لقى مصرعه بالفعل ، كما توحى

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم ٨٤

الأحداث ، وكما سيؤكد لـه رجلهم ، الذى سافر منذ ساعات إلى (كومانا) ، فالصراع إذن قد انحسم ..

وتحقق لهم كل ما أرادوه وتمنوه وسعوا من أجله ، فى هذا الشأن ..

أما لو كان علـى قيد الحياة ، ففى قبضتهم نقطة ضعفه ..

والسلاح الوحيد ، القادر على هزيمته ..

وهذا يعنى أنه ، فى كـل الأحوال ، سيكون النصر إلى جانبهم ..

وحدهم ..

« أريد أمى .. » ..

صرخ الصغير بالعبـارة ثانية ، فانتزع (زيلمان) من أفكاره فى عنف ، وجعله يقول فى غضب :

ـ قلت : اصمت .

بكى الصغير المسكين فى حرارة ، وأغرقت دموعه عينيه ، فمطّ (زيلمان) شفتيه ، وغمغم محنقًا :

ـ كم أبغض الأطفال .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع صوت شخص يتنحنح من خلفه ، فالتفت إليه فى حركة حادة ، وقال فى صرامة :

ـ ماذا تريد يا (بيكويك) ؟!

ناوله مساعده ورقة تحمل بالعبرية عبارة (سرى للغاية) ، وهو يقول :

ـ هذه المعلومات وصلت على التو .. ورأيت ضرورة أن أطلعك عليها على الفور .

اختطف (زيلمان) الورقة من يده ، وانعقد حاجباه وهو يطالعها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يهتف :

ـ غواصة نووية ؟! مستحيل ! كيف يفقد الروس شيئًا كهذا بهذه البساطة ؟!

هزّ (بيكويك) كتفيه ، مجيبًا :

ـ لسنا ندرى شيئًا عن التفاصيل بعد .

ألقى إليه (زيلمان) الورقة ، هاتفًا فى غضب :

ـ وهذا ما يحنقنى أكثر .

ثم شد قامته ، مضيفًا بلهجة غاضبة ، صارمة ، آمرة :

ـ أرسل إلى (ماير) فى (كومانا) ، وأبلغه بأمر منظمة (إكس) الجديدة هذه ، وأرسل إلى رجلنا فى (موسكو) ، واطلب منه أن يبذل قصارى جهده ، لمعرفة تفاصيل سرقة تلك الغواصة النووية ، وما إذا كانت

هناك معلومات عن تورط أحد المسئولين الروس فى الأمر .

وعاد حاجباه يتعقدان بشدة ، وهو يتابع :

ـ أريد أن أعلم كم تبلغ قوة تلك المنظمة الجديدة ، وإلى أى مدى يتوغل نفوذها وسلطانها .. وبأسرع وسيلة ممكنة .. هل تفهم ؟!

ابتسم (بيكويك) ، وهو يقول بجذل عجيب :

ـ بالتأكيد .

ثم انصرف فى سرعة لتنفيذ الأوامر ، فى حين بكى الصغير ، هتفا :

ـ أريد أمى .. أريد أن أذهب إليها .

استدار إليه (زيلمان) ، ورمقه بنظرة صارمة ، صامتة ، طويلة ، قبل أن يقول :

ـ لا .. لن يمكنك الذهاب إلى أمك .

ثم تألقت عيناه على نحو مخيف ، مستطردًا :

ـ هى ستأتى إليك حتمًا .

نطقها ، ووثبت إلى شفتيه ابتسامة كبيرة .. ابتسامة تحمل الظفر ..

كل الظفر ..

* * *



ناوله مساعده ورقة تحمل بالعبرية عبارة (سرى للغاية) ..

٧ - اختبار..

جفف مسئول الجوازات الفنزويلى عرقه فى توتر ، وهو يدلف إلى الملحق التجارى الكبير فى المطار ، وتلفت حوله فى اضطراب شديد ، وهو يجلس على مقعد صغير ، فى أقصى أركان المطعم الصينى هناك ، وراحت عيناه تتابعان كل شخص يدخل إلى المطعم ، فى اهتمام عصبى ، يوحى بأنه ينتظر شخصًا ما ..

وعلى الرغم من أنه لم يرفع عينيه عن الباب لحظة واحدة ، إلا أنه فوجئ بصوت من خلفه ، يقول :

- فى موعدك بالضبط يا رجل .

انتفض جسده كله فى عنف ، واستدار يحدق فى (خالد) بذهول ، قبل أن يهتف بصوت خافت مضطرب :

- كيف ؟! كيف وصلت إلى هنا ؟!

جذب (خالد) مقعدًا ، وجلس أمامه فى هدوء ، مجيبًا :

- لا تقلق نفسك بهذا الأمر يا رجل ، وأخبرنى .. هل أحضرت القائمة المطلوبة ؟!

جفف الرجل عرقه مرة أخرى ، وقد تضاعف توتره مرتين ، وأومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى خفوت وعصبية :

- نعم .. إنها معى الآن .. كانت مخاطرة مخيفة .. لو أنهم علموا بما فعلت ، لفصلونى من العمل فورًا ، وبلا رحمة .

ثم استطرد فى لهفة :

- هل أحضرت المبلغ ؟!

ربّت (خالد) على جيب سترته ، قائلاً :

- خمسة آلاف دولار ، بالتمام والكمال .

قال الرجل بسرعة :

- أعطنى إياها .

لوّح (خالد) بسبابته نفيًا ، وقال فى حزم :

- القائمة أولاً .. لا بد أن أتأكد أنها سليمة .

قال الرجل ، فى عصبية أكثر :

- لن أعطيك إياها ، قبل أن أتأكد من أنك قد حضرت النقود .

تطلع إليه (خالد) لحظة فى صمت ، ثم لم يلبث أن أخرج رزمة من الدولارات الجديدة من جيبه ، قائلاً :

ـ ها هو ذا المال .

تألقت عينا الرجل فى جشع ، وكاد يقفز ليختطف النقود ، إلا أن (خالد) أعادها إلى جيبه فى سرعة قائلاً فى صرامة :

ـ القائمة أولاً .

ألقى إليه الرجل المظروف الذى يحمله ، قائلاً فى حدة :

ـ ها هى ذى .. افحصها وتأكد من صحتها ، وأعطنى نقودى فى سرعة .. لا بد لى من العودة إلى العمل خلال نصف الساعة على الأكثر ..

فضّ (خالد) القائمة فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لن يستغرق الأمر دقيقة واحدة .

وألقى نظرة فاحصة على قائمة الجوازات ، التى تحمل أسماء وأرقام جوازات كل أجنبى وصل إلى (فنزويلا) ، خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة ، والرجل يتلفت حوله بعصبية أكبر ، قائلاً :

ـ أسرع بالله عليك .. أسرع .

طوى (خالد) القائمة مرة أخرى ، ودسها فى جيبه ، ثم ألقى رزمة النقود إلى الرجل ، الذى اختطفها فى لهفة ، وهبّ من مقعده ، وكأنما أصابه مسّ من الشيطان ، واندفع مغادرًا المكان ، فى خطوات أقرب إلى العدو ، فابتسم (خالد) فى سخرية ، وهو يغمغم لنفسه :

ـ هكذا المرتشون دومًا .. لا يفارقهم الشعور بالخوف أبدًا .

ونهض يغادر المكان فى هدوء ، واستقل سيارته ، عائدًا إلى المنزل الآمن ، الذى استأجره مع زميله (إبراهيم) ، فى (كومانا) ..

كان الطريق ، من العاصمة (كراكاس) إلى (كومانا) يحتاج إلى أربع ساعات من القيادة المتواصلة ، والشمس تميل إلى الغروب ، لذا فقد اتجه إلى طريق القيادة السريعة مباشرة ، وضغط دواسة الوقود فى سيارته ، وأطلق لها العنان بالسرعة القانونية القصوى ..

ولساعة كاملة ، كان كل شىء يسير على ما يرام ..

ثم ظهرت تلك السيارة من خلفه ..

لم يكن الظلام ، مع ضوء مصباحيها القويين ، يسمح له بتحديد هويتها ، إلا أن الشىء الوحيد الذى أدركه تمامًا ، هو أنها تتبعه .

مباشرة ..

وبإلحاح ..

وإصرار ..

بلا حدود ..

ولقد اختبر هذا بنفسه ، كما تعلَّم فى صفوف المخابرات المصرية ..

خفض سرعته ..

وزادها ..

وانحرف يمنة ..

ويسارًا ..

وفى كل مرة ، كانت تلك السيارة تحذو حذوه ..

وتحافظ على المسافة بينها وبينه ..

بمنتهى الدقة ..

لذا ، فقد غمغم فى توتر :

- آه .. يبدو أن بعضهم قد نجح فى خداعك ، وكشف لقاءك بمسئول الجمارك يا (خالد) .

راح يلوم نفسه بشدة ؛ لأنه لم يكن أكثر حرصًا وحذرًا ، وهو يلتقى بمسئول الجمارك الفنزويلى ..

هناك من كان يراقبه حتمًا ..

وها هو ذا يتبعه ..

من أجل ما حصل عليه ..

ومع بروز تلك الفكرة فى ذهنه ، ضغط (خالد) دواسة وقود سيارته ، وزاد من سرعتها ، وانطلق بها متجاوزًا الحد الأقصى للسرعة القانونية ..

وفى هذا أيضًا ، تبعته السيارة الأخرى ..

ثم راحت المسافة بينهما تتناقص فى سرعة ..

وصار من الواضح أن اللعب قد بدأ بأوراق مكشوفة ..

لم يعد هناك مجال للمواربة ..

أو التخفى ..

وعلى الرغم من أن (خالد) قد زاد من سرعته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

إلا أن المسافة بين السيارتين أخذت تقل ..
وتقل ..
وتقل ..
حتى صارتا متجاورتين تماماً ..
وعندئذ ..
عندئذ فقط ، أدرك (خالد) هوية مطارديه ..
كانت سيارة أمريكية قوية ، ذات محركين ، يقودها رجل المخابرات الأمريكى ، الذى قتل صاحب المطار (جارديو) ، وإلى جواره (هندرسون) ، الذى يطلّ المقت من كل خلية من خلاياه ، وهو يصوّب مسدسه إلى (خالد) ..
ويطلق النار ..
انحرف (خالد) بالسيارة فى سرعة ، متفاديًا الرصاصة ، التى اخترقت زجاج النافذة الأمامى ، ثم زاد من سرعة سيارته ، فهتف (هندرسون) ، على قيد متر واحد منه :
ـ لن تفلت أبدًا أيها المصرى .
ومع هتافه ، أطلق رصاصة ثانية ، اخترقت النافذة الخلفية لسيارة (خالد) ، الذى استلّ مسدسه بدوره ، وهو يضغط فرامل سيارته ، مغمغمًا فى حزم :

ـ لم تقل بإذن الله أيها الحقير .
انخفضت سرعة سيارته بغتة ، مع ضغط الفرامل ، فتجاوزتها سيارة الأمريكيين بثلاثة أمتار ، واعتدل هو ليصبح خلفها تماماً ..
وأطلق رصاصات مسدسه ..
واخترقت رصاصاته زجاج السيارة الخلفى ، وحقيبتها ، ومضاد الصدمات بها ..
وفى اللحظة نفسها ، انهالت عليه الرصاصات من الخلف ..
لقد وعى الأمريكيون الدرس جيدًا هذه المرة ..
وجاءوا بفريقين ..
وسيارتين ..
إحداهما طاردته ..
والأخرى انتظرت النتائج ..
لتتدخل فى الوقت المناسب ..
وفى نفس اللحظة ، التى اخترقت فيها الرصاصات الخلفية زجاج السيارة ، خفض الأمريكى الأول سرعة سيارته ، وعاد ينقضّ على سيارة (خالد) فى شراسة ..

هجومان عنيفان ، من الجانب والخلف فى آن واحد ..
وبمنتهى الشراسة ..
وسيل من الرصاصات ، انهال على سيارة (خالد) ..
حتى انفجر أحد إطاراتها ..
واختلّ توازنها على نحو مخيف ..
وانحرفت عن الطريق الرئيسى ..
وارتطمت بجانب سيارة (هندرسون) ..
ثم ارتدت فى عنف ..

وعلى الرغم من أن (خالد) قد استخدم أقصى مهاراته ، فى محاولة للسيطرة عليها ، أفلتت عجلة القيادة منه تمامًا ..
ودارت السيارة حول نفسها دورة عنيفة ..
ثم وثبت ..
وهوت ..
وانقلبت على جانبها ..

وفى مشهد مخيف ، راحت تزحف فوق الأرض الأسفلتية ، التى انطلقت منها شرارات نارية عنيفة ، قبل أن تتجاوزها السيارة إلى الجانب المزروع ، وترتطم بجذع شجرة كبيرة فى قوة ..

وامتزج صوت الارتطام بصرير إطارات سيارتى الأمريكيين ، وهما تتوقفان بدورها ، وقفز الأمريكيون الأربعة منهما ، واندفعوا بمسدساتهم القوية ، المزوّدة بكواتم الصوت نحو سيارة (خالد) المقلوبة ، و (هندرسون) يهتف فى صرامة :

ـ تحركوا فى سرعة .. أريد تلك القائمة ، التى حصل عليها من مسئول الجوازات ، قبل أن تحترق السيارة .

اندفع اثنان من رجاله نحو السيارة المقلوبة ، وانحنى أحدهما نحو نافذتها ، و ...
ودوّى صوت طلق نارى مكتوم ..
وتراجع جسد الأمريكى فى عنف ، مع الرصاصة التى اخترقت صدره ..
وسقط جثة هامدة ، عند قدمى (هندرسون) ، الذى هتف فى غضب هادر :

ـ أيها المصرى الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، برز (خالد) من نافذة السيارة المقلوبة ، والدماء تنزف من ذراعه وجبهته ، ومسدسه مشهور فى يده ..

وانطلقت منه رصاصة ثانية ، أطاحت برجل مخابرات أمريكى آخر ..

وهنا فتح (هندرسون) وزميله النار بلا هوادة ..

ووثب (خالد) ، محاولاً تفادى الرصاصات ..

ولكنه شعر بألم رهيب فى فخذه اليسرى ، قبل أن يسقط خلف السيارة ، ويزحف بكل سرعته وقوته مبتعداً ، وأزيز الرصاصات يتواصل فوق رأسه ، كما لو أن السماء تمطر نيراناً ..

وما إن أصبح على مسافة ثلاثة أمتار ، حتى دوى الانفجار من خلفه ..

انفجر خزان وقود السيارة بغتة ، كما لو أن النيران كانت تبلغه من موضع خفى ..

ومع الانفجار ، اندفع جسد (خالد) إلى الأمام فى عنف ..

وارتطم رأسه بجذع شجرة أخرى ..

وبكل إرادته ، قاوم (خالد) ذلك الدوار العنيف ، الذى سيطر على كيانه كله .

وقاوم ..

وقاوم ..

وبكل ما تبقى من قوته ، دفع الأرض بيديه ..

واعتدل ..

و ...

« ألم أقل لك : إنك لن تفلت أبداً أيها المصرى؟! »

نطق (هندرسون) العبارة فى مقت ظافر ، وهو يصوّب فوهة مسدسه إلى رأس (خالد) مباشرة ، ويركل مسدس هذا الأخير فى اللحظة نفسها ..

ومن خلفه ، برز زميله هاتفاً فى حنق :

- لقد قتل (جيمس) ، وأصاب (إدوارد) إصابة بالغة الخطورة .

أجابه (هندرسون) ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

- اطمئن يا رجل .. لن ينعم بانتصاره هذا طويلاً .. سيلحق بزميلنا (جيمس) على الفور ، وليعملا على تسوية حساباتهما فى الجحيم ..

انعقد حاجبا (خالد) فى حزم ، وواجه فوهة المسدس القاتلة فى بسالة مدهشة ، جعلت (هندرسون) يقول فى حدة :

- الوداع أيها المتحذلق المصرى ..

و ...

وفجأة ، وقبل أن تعتصر سبابته الزناد ، سمع شهقة قوية ، أطلقها زميله من خلفه ..

فاستدار إليه بكل سرعته وغضبه ، وتوتره ..

ورأى زنجيًا ضخم الجثة ، يعتصر جسد زميله بذراعين كالفولاذ ، فرفع إليه فوهة مسدسه ، صائحًا :

ـ من أين أتيت أيها الـ ...

لم تكن صيحته قد اكتملت بعد ، عندما انطلقت رصاصة غير صامتة هذه المرة ..

رصاصة ارتطمت بمسدسه ، وأطاحت به فى عنف ..

وبحركة واحدة ، رفع (خالد) و (هندرسون) عيونهما نحو مصدر الرصاصة ..

وتفجرت الدهشة فى أعماقهما معًا ..

فعلى مسافة ثلاثة أمتار منهما ، كانت هناك فوهة مسدس ، يتصاعد منها الدخان ، وخلفها وجه فتاة جميلة ، تقول فى حزم :

ـ معذرة أيها الوغد الأمريكى ، ولكن زميلى ليس مستعدًا لمفارقة هذه الحياة بعد ..

ولم ينبس أحدهما بحرف واحد ..

من فرط دهشتهما البالغة ..

هذا لأن الفتاة ، التى تصوب إليهما مسدسها ، وتتحدث بكل هذا الحزم الصارم ، كانت تجلس على مقعد طبى متحرك ..

وتحمل اسم وصفة ضابط بالمخابرات العامة المصرية ..

اسم (جيهان) ..

* * *

مرة أخرى عاد كل شىء يدور ..

على نحو عنيف ..

كل شىء ..

ولكن فى هذه المرة ، كانت هناك خبرة سابقة ..

خبرة جعلته يسترخى فى رقدته ، ويلقى كل توتراته خلف ظهره ، حتى يهدأ عقله ويصفى ..

بأسرع وقت ممكن ..

وفى بطء ..

وبجهد فائق .. فتح عينيه ..

كانت الحجرة مظلمة تمامًا ، ولكنه كان يعلم أن كاميرات المراقبة تواصل عملها ، حتى فى أحلك الظروف ..



هذا لأن الفتاة ، التى تصوِّب إليهما مسدسها ، وتتحدَّث بكل هذا الحزم الصارم ، كانت تجلس على مقعد طبى متحرِّك ..

تجربته السابقة أثبتت هذا ..

لقد انتزع كل الأجهزة عن جسده ، وظلّ راقدًا فى فراشه .

ولم يتحرك السيّد (X) ..

ولم يطلب من فريق الأطباء التدخُّل ..

على الرغم مما قد يعنيه توقف عمل الأجهزة ، من نتائج طبية خطيرة ..

ثم نهض من فراشه ..

وتظاهر بفحص الباب ..

كان الظلام حالكًا حينذاك ..

ولكن السيّد (X) أطلق صفارة الإنذار الكبيرة ..

وهرع الجميع إليه ..

وهذا يعنى أن كاميرات المراقبة تعمل فى الضوء العادى ..

وبالأشعة دون الحمراء ..

فى الظلام الدامس ..

السيّد (X) لايريد أن يمنحه لحظة حرية واحدة ..

إنه يراقبه طوال الوقت ..

دون كلل ..

أو مثل ..

أو هوادة ..

وعليه أن يضع هذا فى اعتباره هذه المرة ..

ولكن مهلاً ..

الأمور تختلف الآن عن المرة السابقة ..

لقد انتبه إلى هذا الآن فقط ..

عندما صفا عقله أكثر ..

واستعاد شعوره بما حوله أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

إنه مقيد إلى فراشه بإحكام ..

هناك حزام جلدى سميك ، يحيط بصدره وذراعيه ، ويثبته فى الفراش بقوة ..

وأحزمة أخرى تربط معصميه ..

وكاحليه ..

ووسطه ..

السيد (X) أراد أن يضمن بقاءه فى موضعه ..

حتى تستقر الأمور ..

والأمور لن تستقر، فى وجود فريق طبى فحسب ..

وخاصة بعد أن استعاد قدرته على الحركة ..

هناك تغيرات ستحدث حتمًا ..

لن يكتفى بأساليب الحراسة الإليكترونية حتمًا ..

فما دام محترفًا ، كما يوحى كل ما يفعله ، فهو يدرك حتمًا أن التكنولوجيا الصِّرفة لا يمكن الاعتماد عليها كلية ..

لأنه لكل تكنولوجيا نقطة ضعف ..

بالغة الخطورة ..

ومهما بلغت كفاءة الأجهزة ، لا بد من البشر ..

وعقول البشر ..

وهذا يعنى أن السيد (X) ، كمحترف ، سيرسل طاقم حراسة جديدًا حتمًا ..

وبأسرع ما يمكن ..

وذلك الفريق لم يصل بعد ..

هذه القيود القوية تؤكد هذا ..

إنه لن يقيده إلى فراشه للأبد ..

هذا إجراء مؤقت حتمًا ..

حتى يصل طاقم الحراسة ..

مع آخر أفكاره ، التقطت أذناه صوتًا خافتًا للغاية .

لم يخطئ عقله المدرب تمييزه على الفور .

صوت هدير مروحة هليوكوبتر تهبط ..
فى مكان قريب ..
قريب للغاية ..
والأرجح أنها تهبط فوق الوكر تمامًا ..
وهذا يعنى أن طاقم الحراسة قد وصل بالفعل ..
وأن الأمور ستصبح أكثر صعوبة ..
وأكثر عنفًا ..
ألف مرة ..

* * *

اكتست وجوه الدكتور (براون) ، وسكرتيرته وفريقه الطبى بشحوب عجيب ، وهم يتابعون فريق الرجال الأقوياء ، الذين تدفقوا فى المكان ، بأجسادهم الممشوقة وعضلاتهم المفتولة ، ووجوههم القاسية الصارمة ، ومدافعهم الآلية الضخمة القوية ، وملابسهم المموهة ، الشبيهة بأزياء القوات الخاصة ، والذين حملتهم هليوكوبتر حربية كبيرة إلى المكان ..

وتوقفت أبصارهم جميعًا عند قائد طاقم الحراسة ، الذى اتجه نحوهم مباشرة ، وهو يقول فى صرامة جافة :

- استعدوا للرحيل .. لقد انتهى دوركم هنا .

ارتجف صوت الدكتور (براون) ، وهو يقول :

- انتهى دورنا ؟! ولكن سنيور (أميجو) مازال يحتاج إلى رعاية طبية ليوم أو يومين آخرين ، و ..

قاطعه الرجل بصرامة مخيفة :

- قلت : استعدوا للرحيل .

ازدرد الطبيب لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

- كما تأمر يا سيدى .

كان الرجال ينتشرون فى المكان ، على نحو يؤكد أنهم يحفظونه عن ظهر قلب ، أو تم تدريبهم على نموذج مشابه مسبقًا ..

وكانت الشراسة ترسم ملامحها على كل خلجة من خلجاتهم ، على نحو جعل الطبيب وفريقه يسارعون بإعداد حاجياتهم ، لمغادرة المكان بأقصى سرعة ، بعد أن صار أكثر وحشية من الأدغال نفسها ..

ولم تمض نصف الساعة ، حتى كان كل شىء معدًا للرحيل ، ففحصهم قائد طاقم الحراسة ببصره فى إمعان ، قبل أن يبتسم ابتسامة مخيفة ، قائلاً :

- عظيم .. هيا بنا .

تبعه الجميع عبر ممر صاعد ، إلى خارج الوكر ، وخفقت قلوبهم فى قوة ، عندما وقعت أبصارهم على السماء لأول مرة ، منذ وصولهم إلى ذلك المكان ..

وفى توتر بالغ ، سأل الدكتور (براون) رئيس الطاقم :

- قل لى يا سيدى : ألن تعصبوا أعيننا هذه المرة ؟!

ارتسمت على شفتى الرجل نفس الابتسامة المخيفة ، وهو يجيب :

- لن تكون هناك ضرورة لهذا .

ارتجف جسد الطبيب للجواب ، وسأل مذعوراً :

- لن تكون هناك ضرورة ؟! ماذا تعنى يا سيدى الـ .. الـ ...

قاطعه الرجل فى صرامة :

- (بولارد) .. الجنرال (جيم بولارد) .

لوّح الطبيب بذراعيه ، هاتفاً :

- لا .. لا تخبرنى يا سيدى .. لست أرغب فى معرفة شىء .. إننى حتى نسيت اسمك ، الذى أخبرتنى به على التو .

رمقه الجنرال (بولارد) بنظرة ساخرة ، وهو يقول :

- لا داعى لكل هذا الذعر .. الأمور بسيطة للغاية .

سألته السكرتيرة فى لهفة :

- حقاً ؟!

ابتسم ابتسامة غامضة ، دون أن يجيب سؤالها ، وأشار بيده إلى سيارة (فان) مغلقة ، تقف وسط الأحراش ، وهو يقول :

- السيارة ستحملكم إلى منطقة قريبة ، حيث تنتظركم هليوكوبتر ، ستحملكم إلى (كراكاس) ، ومن هناك ستقلكم طائرة خاصة إلى (لوس أنجلوس) مباشرة .

قال الطبيب فى قلق حذر :

- وهل تصلح سيارة كبيرة مثلها ، للسير فى أدغال كثيفة كهذه ؟!

أجابه الجنرال فى سخرية :

- لقد وصلت إلى هنا بالفعل .. أليس كذلك ؟!

تبادل أفراد الفريق الطبى نظرة متوترة ، قبل أن تغمغم السكرتيرة :

- بلى .

ثم تساءلت فى حذر :

- وهل سنحصل على أجورنا ؟!

فتح باب السيارة ، وهو يشير إليهم بركوبها ، قائلاً :

- بالطبع .

ثم أخرج مظروفاً من جيبه ، وناوله إلى الدكتور (براون) ، مستطرداً :

- ستجد هنا شيكات بكل المبلغ المتفق عليه ، بالإضافة إلى مكافأة سخية من السيد (X) ، سيسيل لها لعابكم .

التقط الطبيب المظروف ، وأخرج الشيكات ، ليوزعها على الجميع ..

وارتفعت شهقات الانبهار ، مع الأرقام الضخمة غير المتوقعة ، المدونة فيها ، فابتسم الجنرال (بولارد) ابتسامته الغامضة المخيفة ، وهو يقول :

- رحلة سعيدة .

ثم أغلق باب السيارة ، واستدار ينصرف فى هدوء ، فى حين هتفت إحدى الممرضات فى سعادة :

- السيد (X) هذا سخى للغاية .. سيسعدنى أن أعمل معه دوماً ، كلما أراد هذا .

هتفت أخرى فى مرح :

- وأنا سأضع نفسى رهن إشارته طوال الوقت .

وبرقت عينا السكرتيرة ، وهى تقول :

- الواقع أننى لم أحصل على مبلغ كهذا ، مقابل عمل قصير هكذا .. إنه كرم بالغ بالفعل .. أليس كذلك يا دكتور (براون) ؟!

لم تتلقَ جواباً من الطبيب ، فالتفتت إليه ، مكررة :

- دكتور (براون) ؟!

التفت إليها بوجه شاحب ممتقع ، جعلها تسأله فى دهشة :

- ماذا هناك ؟!

أشار إلى المقعد الأمامى للسيارة ، وهو يقول فى اضطراب شديد :

- لا يوجد سائق .

انتفضت أجسادهم فى عنف ، عندما انتبهوا إلى هذا لأول مرة ، وحدقوا فى مقعد السائق الخالى فى ذعر ، ثم اندفع أحد الممرضين يحاول الخروج من السيارة ..

ولكن الأبواب كانت مغلقة كلها بإحكام شديد ..

وغير قابلة للفتح ..
أو الكسر ..
وفى رعب بلا حدود ، صرخت السكرتيرة :
ـ ولكن لماذا ؟! ... إننا لم نعرف شيئاً ، أو نحاول الحصول على أية معلومات ..
وصاحت ممرضة :
ـ إننا حتى لا نعرف من هو مستر (X) .
ارتجف صوت الدكتور (براون) ، وهو يقول فى مرارة :
ـ ولكننا نعرف ما هو أكثر خطورة .
سألته السكرتيرة فى شحوب مذعور :
ـ وما هو ؟!
حمل صوته نهراً من اليأس ، وهو يجيب :
ـ إننا نعرف من هو سنيور (أميجو) .
ومع آخر حروف كلماته ، دوى الانفجار ..
وكان الدوى عنيفاً ..
ولكنه تلاشى فى سرعة ..
وعاد الصمت يغلف أدغال (كومانا) كلها ..
بلا استثناء .

* * *

٨ ـ الإسرائيلى ..

تهللت أسارير (منى) فى فرحة حقيقية ، وهى تحدق فى (جيهان) ، التى استقبلتها فى المطار على قدميها ، معتمدة على ذراع (بترو) ، الذى أضاء وجهه كله بابتسامة صامتة كبيرة ، وهتفت (منى) :
ـ رباه ! (جيهان) !! إنك تقفين على قدميك .. يا للروعة ! إنها معجزة حقيقية .
صافحتها (جيهان) بابتسامة هادئة ، وهى تجيب :
ـ معجزة علمية يا عزيزتى .
أمسكت (منى) كتفيها فى تأثر ، هاتفة :
ـ حمداً لله .. حمداً لله .. كنت واثقة من أنه (سبحانه وتعالى) ، لن يتخلى عنك أبداً .
غمغمت (جيهان) :
ـ الفضل له (عز وجل) .. و لـ (أدهم) من بعده .
لم تكد تأتى على ذكر (أدهم) ، حتى امتقع وجه (منى) ، وذبل الحماس فى عينيها ، وانخفض صوتها ، وهى تتمتم :

- بالتأكيد .
تنحنحت (نادية) ، فى محاولة لإزالة التوتر ، وهى تقول :
- احم .. أنا هنا .. أرجو ألا تتجاهلان وجودى إلى هذا الحد .
أدارت (جيهان) عينيها إليها ، وكأنها تراها لأول مرة ، فمدت (نادية) يدها إليها ، قائلة بابتسامة عجيبة ، تحمل مزيجاً مدهشاً من المودة والسخرية :
- دعينى أقدم نفسى يا عزيزتى (جيهان) .. أنا (نادية) .. المقدم (نادية سيف الدين) .. زميلتكم منذ فترة طويلة ، قضيت معظمها داخل (إسرائيل) للأسف(*) .
غمغمت (جيهان) ، وهى تتفحصها ببصرها جيداً ، فى محاولة لسبر أغوار هذه الزميلة الوافدة الجديدة :
- تشرفنا يا (نادية) .
اتسعت ابتسامة (نادية) ، وخوت من المودة ، مع تضاعف سخريتها ، وهى تقول :

(*) راجع قصة (الأصابع الذهبية) ... المغامرة رقم ١٢٢

- نسيت أن أخبرك أننى آخر من عمل إلى جوار (أدهم) .. أعنى العميد (أدهم) .
أضافت (منى) فى توتر :
- (نادية) كانت زميلته فى عملية (النيل) .
هتفت (جيهان) :
- عملية (كومانا) ؟!
ومع هتافها ، عادت تتفحص (نادية) ببصرها مرة أخرى ..
مرة مختلفة ..
ففى هذه المرة ، كانت تحاول سبر أغوارها كامرأة ..
امرأة عملت إلى جوار (أدهم صبرى) ..
إلى جوار أفضل رجل فى العالم ..
من وجهة نظرها على الأقل ..
من يمكنها أن تعمل معه ، دون أن تقع أسيرة لسحر شخصيته المبهرة ؟!
ورجولته الطاغية ؟!
من ؟!
« ماذا أصابك يا زميلتى العزيزة ؟! »

انتزعتها (نادية) من أفكارها ، بهذه العبارة الساخرة ، فانعقد حاجبا (جيهان) فى توتر ، فى حين تابعت (نادية) بنفس السخرية :

ـ إنك تتطلعين إلىّ ، وكأنك ستصنعين تمثالاً من الرخام لشخصى المتواضع .

بدا الضيق على وجه (جيهان) ، فقالت (منى) فى حزم ، وهى ترمق (نادية) بنظرة صارمة :

ـ لا تجعلى هذا يحنقك يا (جيهان) ، وإلا لانهارت أعصابك بعد يوم واحد ، فهذه هى (نادية) .

انفرجت شفتا (نادية) ، وهى تهم بقول شيء ما ، فتابعت (منى) بنفس الصرامة ، وإن شابتها رنة غضب :

ـ أقصد المقدّم (نادية) ، رئيستنا فى هذه العملية .

قالت (جيهان) فى حدة :

ـ رئيستك أنت فحسب .. أنا لم أعد إلى العمل بعد .

أشارت (نادية) بسبابتها ، قائلة :

ـ فى هذه الحالة لست أسمح بتدخل أى شخص خارجى فى العملية ، و ...

قاطعتها (جيهان) بلهجة متحدية :

ـ حاولى منعى .

تدخلت (منى) ، قائلة فى حدة :

ـ رويدكما .. ماتفعلانه الآن أفضل من كل ما يمكن أن يحلم به أولئك الذين اختطفوا (أدهم) .. إنكما تنشغلان بمعركة سخيفة ، بدلاً من أن تتآزر جميعًا للعثور عليه ، وكشف الغموض المحيط باختفائه .

تطلعت الاثنتان إليها لحظة فى صمت ، قبل أن تغمغم (نادية) ، موجهة حديثها إلى (جيهان) فى اهتمام :

ـ هل عثرت على طرف خيط ، يمكننا أن نبدأ من عنده ؟!

أومأت (جيهان) برأسها إيجابًا ، وهى تشير بيدها ، قائلة :

ـ بالتأكيد ، ولكن الأفضل أن نناقش هذا ، فى طريقنا إلى الفندق .

قالت (منى) فى دهشة :

ـ فندق ؟! أليس من الأفضل أن نستخدم منزلاً آمنًا ، فى مثل هذه الظروف ؟!

أجابتها (جيهان) فى حزم ، وهى تسير متكئة
على ذراع (بترو) ، نحو سيارة (فان) صغيرة :
ـ الأمور متوترة للغاية فى (كوماتا) هذه الأيام ، والشرطة تفرض قيوداً شديدة على كل الأجانب ، ولن يكون من السهل أن نقيم وسط السكان ، دون أن نثير الشبهات والأقاويل ، وهذا آخر ما نبحث عنه ، فى ظل هذه الظروف :

أسرع (بترو) يحتلّ مقعد القيادة ، وجلست (جيهان) إلى جواره فى إرهاق ، جعل (منى) تسألها :

ـ ألا ينبغى ألاّ ترهقى نفسك كثيراً ، بعد عملية كهذه ؟!

أشارت (جيهان) بيدها إلى مؤخرة السيارة :

ـ لقد أحضرت المقعد المتحرك معى .. ما زلت أعتمد عليه معظم الوقت ، ولكننى أردت أن أستقبلكما على قدمىّ فحسب ، عندما أخبرنى أحد رجلينا هنا أنكما فى طريقكما إلى (كراكاس) .

سألتها (نادية) فى (اهتمام) :

ـ أتقصدين (خالد) و (إبراهيم) ؟! كيف حالهما ؟! وهل توصلا إلى شىء ما ؟!

أجابتها (جيهان) :

ـ (خالد) حصل على قائمة بكل الأجانب ، الذين وصلوا إلى (فنزويلا) ، خلال الأسابيع الثلاثة السابقة ، ولكن الأمريكيين حاولوا التخلص منه ، والحصول عليها .

سألتها (منى) فى قلق :

ـ وهل أفلحوا ؟!

هزّت رأسها نفياً بابتسامة باهتة ، وهى تجيب :

ـ أنا و (بترو) وصلنا فى الوقت المناسب .

سألتها (نادية) فى حزم :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

روت لها (جيهان) ما فعله (هندرسون) ورجاله ، ثم ختمت روايتها ، قائلة :

ـ كان أفضل ما نفعله هو أن نعود مع (خالد) إلى هنا ، حتى يتمّ علاجه فى أقرب مستشفى للطوارئ فى

(كراكاس) ، وأبلغنا الملحق الطبى لسفارتنا هنا ، وهو الآن بصحبته فى المستشفى ، ورجالنا يقومون بحراسته ورعايته هناك .

سألتها (منى) :

ـ وماذا عن قائمة الأجانب ؟!

ربتت (جيهان) على جيبها ، مجيبة :

ـ إنها معى ، وما إن نستقر فى الفندق ، حتى نبدأ فى فحصها ، ومراجعة كل بياناتها على الفور .

تراجعت (نادية) فى مقعدها ، متسائلة :

ـ وماذا عن ذلك الوغد (هندرسون) ؟!

هزت (جيهان) كتفيها ، قائلة :

ـ بعد كل الضجة التى أثارها ، كان من الطبيعى أن تهرع الشرطة إلى موقع الحادث ، ثم إنه لم يكن لدينا أى وقت له ولزميله .

سألتها (نادية) :

ـ ماذا فعلت إذن ؟!

أجابتها بابتسامة خبيثة :

ـ أفقدتهما الوعى .

ثم أضافت بشىء من الجذل :

ـ وتركتهما إلى جوار السيارة ، حتى يأتى رجال الشرطة لإسعافهما .

ابتسمت (نادية) ، قائلة :

ـ وإلقاء القبض عليهما أيضًا .

هزت (جيهان) كتفيها ، قائلة فى خبث :

ـ هذا سيعطلهما بعض الوقت على الأقل .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها الأخيرة هذه ، كان مدير شرطة العاصمة (كراكاس) ينهى محادثته مع مدير جهاز الأمن العام ، وهو يتطلع إلى (هندرسون) وزميله بوجه محتقن ، قائلاً :

ـ صدقنى يا سنيور (هندرسون) .. مهما بذلت من جهد ، فلن يمكننى أبدًا أن أفهم ما يحدث هنا .. لقد أثرت وزملاؤك فوضى لا مثيل لها ، فى ظروف بالغة الحساسية ، ولدينا جثتان ، وبركة دم ، وسيارتان مصابتان بثقوب عدة رصاصات ، وثالثة منسوفة تمامًا ، وعلى الرغم من هذا ، فوزير الأمن العام ، ومدير أكبر جهاز أمنى فى (فنزويلا) يطالباننى بالإفراج عنك وعن زميلك فورًا ، دون قيد أو شرط .

أجابه (هندرسون) فى صرامة :

ـ لاتحاول الفهم .. إنها أمور تفوق إدراكك بالفعل .

هزّ الرجل رأسه ، قائلاً فى حنق :

ـ هذا لن يروق لرجالى قط .

نهض (هندرسون) فى ثقة ، وأشار لزميله ، قائلاً بدهشة مفتعلة :

ـ حقاً !!

ثم انعقد حاجباه فى صرامة شديدة ، وهو يضيف :

ـ دعهم يضربون رءوسهم بالجدران إذن .

احتقن وجه مدير الشرطة أكثر ، وتابع ببصره (هندرسون) وزميله ، وهما يتجهان إلى الباب فى زهو ظافر ، وما إن أمسك الأول مقبض الباب ، حتى هتف به فى صرامة :

ـ سنيور (هندرسون) .

استدار إليه (هندرسون) فى برود ، وقال فى غضب صارم :

ـ فى المرة القادمة ، لن يتدخّل أحد من الكبار .

ثم انعقد حاجباه فى حدة ، مضيفاً :

ـ لأننا سنطلق النار فوراً ، دون إنذار .

رمقه (هندرسون) بنظرة طويلة صامتة ، قبل أن يقول :

ـ جيد إن أخبرتنى .

ثم صفق الباب خلفه ، وقطع مع زميله صالة مفتشى الشرطة ، الذين تابعوهما بغضب وسخط واضحين ، حتى غادرا دائرة الأمن ، فقال (هندرسون) فى حنق :

ـ ذكّرنى أن أنسف رأس هذا الوغد ، عندما ننتهى من مهمتنا السخيفة هذه .

أشار زميله إلى سيارتهما ، التى يجلس داخلها أحد رجالهما من بعيد ، فاتجهت نحوهما مباشرة ، وهو يقول :

ـ عندما ننتهى من مهمتنا ، فأول ما سأفعله هو العودة إلى (لانجلى)(*) ..

توقّفت السيارة أمامهما ، فاستقلاها و (هندرسون) يقول :

(*) يوجد مقر المخابرات المركزية الأمريكية فى (لانجلى) بولاية (فرجينيا) الأمريكية ، وهو مقر ضخم ، يتكون من عدة مبان ، مع فراغ كبير فى منتصفه ، وهناك برنامج يومى لزيارته ، بالنسبة للمدنيين ، عبر أقسام بسيطة الأهمية .

- المهم أن نعود إليها ظافرين .

سأله زميله :

- هل تؤمن حقًا بأن ذلك المصرى الأسطورى ما زال على قيد الحياة ؟!

أجابه (هندرسون) فى حزم :

- ومن يرغب فى اختطاف جثة ؟!

قال زميله فى اهتمام :

- شخص يرغب فى إثارة أكبر قدر ممكن من البلبلة .

سأله (هندرسون) فى سرعة :

- ولماذا ؟!

أجابه زميله ، مشيرًا بيده :

- من المحتمل أن تكون لهذا علاقة بتلك المنظمة الجديدة بالفعل .

لوّح (هندرسون) بذراعه ، هاتفًا :

- هراء .. إنك تفكر كالمصريين .. ليس من الضرورى أن يرتبط كل شىء فى الكون برجلهم هذا .. لقد قام بعملية ناجحة ، ثم اختفى بعدها ، وفى الوقت ذاته ظهرت منظمة جاسوسية جديدة ، وقامت بعملية

مدهشة ، ما زلت أتساءل : كيف أمكنهم القيام بها .
وليس من الضرورى على الإطلاق أن تكون هناك أية صلة ، بين هذا وذاك .

قال زميله :

- من المؤكد أن الصلة ليست حتمية ، ولكنها احتمال قائم ، ويتفق مع ما بدأت به تلك المنظمة .. لقد سرقت غواصة نووية من السوفييت ، واختطفت أشهر رجل مخابرات من المصريين أيضًا .

سأله فى حدة :

- لماذا لم تعلن مسئوليتها عن هذا إذن ؟!

أتاه الجواب فى سرعة ، وبلهجة صارمة للغاية .

- ربما لأن الوقت لم يحن بعد .

انعقد حاجبا (هندرسون) بشدة ، وهو يحدق فى سائق السيارة ، الذى ألقى الجواب ، وانفرجت شفتاه ، ليقول شيئًا ما ، ولكن السائق ضغط فرامل السيارة فجأة ، ثم أوقفها إلى جانب الطريق ، واستدار يصوب مسدسه إلى (هندرسون) وزميله ، قائلاً فى صرامة باردة كالثلج :

- وقتهم ووقتكما .

حدق الاثنان في وجهه بذهول ، وهتف زميل (هندرسون) :

ـ رباه ! أنت لست ...

قاطعه الرجل بنفس البرود الصارم :

ـ بالطبع أنا لست سائقكما الأحمق ، الذي سقط مع أول لكمة في أنفه .

سأله (هندرسون) في عصبية :

ـ وجهك مألوف يا هذا ، ولهجتك ليست غريبة المنشأ .. من أنت بالضبط ؟!

أجابه الرجل بصرامته الباردة :

ـ أنا لست عربيًا بالتأكيد .

ثم انعقد حاجباه في صرامة أكبر ، مضيفًا :

ـ أنا إسرائيلي .

لم يكد ينطقها ، حتى اتسعت عينا (هندرسون) عن آخرهما ..

فالآن فقط ، أدرك لماذا يبدو له هذا الوجه مألوفًا ..

وعلى الرغم من الضوء الخافت ، والزاوية التي ينظر بها إلى وجه الإسرائيلي ، استعاد ذهنه هذه الملامح في سرعة ..

وسرت في جسده قشعريرة باردة كالثلج ..

إذ إن هذا الوجه ، الذي يطل عليهما بكل صرامته وبروده ، من خلف فوهة المسدس المصوبة إليهما ، كان وجه رجل شاركه عمله ذات يوم ، منذ فترة طويلة ..

رجل لا يمكن أن ينتمي لهذه الحياة ..

على الإطلاق ..

* * *

شد الجنرال (جيم بولارد) قامته ، في وقفته العسكرية الصارمة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ، الراقد على فراشه ، والمقيد بتلك الأحزمة الجلدية القوية ، ومن خلفه وقف خمسة من الرجال ، يصوبون مدافعهم الآلية إلى (أدهم) ، في تحفز صارم قاس ، جعل هذا الأخير يقول في سخرية :

ـ كل هذا من أجل رجل مقيد إلى فراشه .. يا لكم من شجعان صناديد !

كان يتوقع أن تثير عبارته غضب الرجل ، أو تستفز مشاعر رجاله ، إلا أنهم ظلوا صارمين قاسين ، وكأنما

لم يسمعوا حرفًا واحدًا مما قاله ، فى حين ابتسم (بولارد) ابتسامته الغامضة القاسية ، وهو يقول :

ـ تمامًا كما يقول ملفك يا سيِّد (أدهم) .. شجاع ، ثابت ، وساخر ، فى أحلك المواقف .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ الموقف لم يعد حالكًا كذى قبل .. لقد أضأتم الحجرة بالفعل .

اتسعت ابتسامة (بولارد) ، وأشار إلى أحد رجاله ، فتحرك فى سرعة ، وترك سلاحه مع أحد زملائه ، ثم راح يحلّ الأحزمة الجلدية عن جسد (أدهم) فى خفة ، وما إن انتهى منها ، حتى تراجع بوثبة مرنة ، واستعاد سلاحه ، وصوّبه نحو (أدهم) بمنتهى التحفُّز والقسوة والصرامة مرة أخرى ..

وفى هدوء ، نهض (أدهم) جالسًا على طرف الفراش ، وهو يقول :

ـ لا أحد يقترب حاملاً سلاحه ، والكل لديهم أوامر بإطلاق النار حتمًا ..

أليس كذلك ؟!

أجابه (بولارد) فى برود :



كان وجه رجل شاركه عمله ذات يوم ، منذ فترة طويلة .. رجل لا يمكن أن ينتمى لهذه الحياة .. على الإطلاق ..

ـ وعند أول بادرة للشك .

رفع (أدهم) أحد حاجبيه ، وخفضه بابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ تدريب ممتاز .

ثم أضاف بالروسية ، وهو يتطلع إلى الرجال في إمعان :

ـ ولكن ماذا يفعل التدريب ، مع حمقى أغبياء مثلهم ؟!

مرة أخرى ، لم تبد على الرجال أدنى بادرة للفهم ، في حين تألقت عينا الجنرال (بولارد) وابتسم ابتسامة غامضة ، زادت من فكه العريض ، وهو يقول :

ـ استنتاج جيد يا سيد (أدهم) .. ويتفق أيضًا مع ذكائك ، الذي يتحدثون عنه كالأساطير .. هؤلاء الرجال لا يفهمون حرفًا واحدًا مما تقول بالطبع ، عندما تتحدث الإنجليزية ، أو الأسبانية ، أو الفرنسية ، أو الإيطالية .. أو الروسية أيضًا ، فعلى الرغم من بشرتهم الباهتة ، وشعرهم الأشقر ،

فهم لا ينتمون إلى (روسيا) ، أو إلى أي من دول الاتحاد السوفيتي السابق(*) ..

قال (أدهم) بالألمانية :

ـ وماذا عن جمعية الرفق بالحيوان في (برلين) ؟!

هل تم استيرادهم منها ؟!

ضحك (بولارد) ، قائلاً :

ـ ليسوا ألمانيين أيضًا .

سأله (أدهم) بابتسامة ساخرة :

ـ ولكنهم يتحدثون لغة ما ؟! أم أنهم صمٌ بكم لا يعقلون ؟!

(*) الاتحاد السوفيتي : دولة اتحادية سابقة ، كانت أكبر دول العالم مساحة ، حتى إنها كانت تمتد من البحر البلطيقي إلى المحيط الهادي ، ومن المحيط القطبي إلى البحر الأسود وبحر قزوين .. وفي السابق ، كان الاتحاد السوفيتي يتكون من ست عشرة دولة تأسيسية ، وكان المنافس الأول ، والعدو اللدود لـ (الولايات المتحدة الأمريكية) ، في سباق التسلُّح والفضاء ، وفي عهد الرئيس (ميخائيل جورباتشوف) تم حل الاتحاد السوفيتي ، وانفصاله إلى عدة دول مستقلة ، أكبرها (روسيا) ، التي احتفظت بالعاصمة (موسكو) .

أجابه (بولارد) فى حزم :

ـ بل يعقلون .. وجيدًا جدًا .

ثم تلاشت ابتسامته ، وانعقد حاجباه فى صرامة شديدة ، قائلاً :

ـ والآن دعنا من كل هذه السخافات ، واسمع التعليمات جيدًا .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ التعليمات ؟! معذرة أيها الوغد ، ولكن طبيعتى تنفر من كل ما يحمل صيغة الأمر والنهى .. ربما لو قلت أرجوك ، فقد ..

قاطعه (بولارد) فى صرامة شديدة للغاية :

ـ القاعدة الأولى هى أنه من غير المسموح تجاوز التعليمات ، بأى حال من الأحوال ، وإلا فسيتم إطلاق النار عليك بلا رحمة ، ودون إنذار مسبق .

قال (أدهم) متهكمًا :

ـ حقا ؟! إننى أرتجف رعبًا ، على الرغم من أننى لم أسمع التعليمات نفسها ، أيها الـ ...

قاطعه (بولارد) بنفس الصرامة :

ـ الجنرال .. اسمى الجنرال (جيم بولارد) ، ولكن يمكنك أن تخاطبنى باسم الجنرال فحسب .

تطلع إليه (أدهم) بضع لحظات فى إمعان ، قبل أن يقول :

ـ آه .. الجنرال (بولارد) .. سفاح (بولندا) السابق ، وجزار الصرب والبلقان .. إنها المرة الأولى التى يرى فيها شخص ما وجهك القبيح أيها الوغد .

قال (بولارد) فى صرامة :

ـ دعك من وجهى، واستمع إلى حديثى جيدًا ، فلن أكرر حرفًا واحدًا مما أقول ، مهما كانت الظروف .

وشد قامته مرة أخرى ، ليتابع فى حزم صارم مخيف :

ـ السيد (X) ، الذى نعمل كلنا لحسابه ، والذى أنفق الملايين ، لإقامة هذه المنشأة الطبية ، وكل المنشآت الأخرى الخفية هنا ، والذى أحضر أبرع فريق طبى من (لوس أنجلوس) للعناية بك ورعايتك ، حتى شفيت جراحك واستردت صحتك ، لا يرغب لحظة واحدة فى إضاعة كل هذه الاستثمارات سدى ، لذا فقد وضع نظامًا محكمًا للغاية ، يضمن وجودك هنا ، طالما أراد ذلك ، ويمنع خروجك من المكان ، مهما كان الثمن .

وازداد صوته حزمًا وصرامة ، وهو يضيف :

ـ ولنكرر كلمة مهما كان الثمن هذه ألف مرة .

استمع إليه (أدهم) جيدًا ، دون أن يقاطعه بحرف واحد .

ففي هذه المرة ، كان يرغب في أن يعرف ..

أقصى ما يمكنه معرفته ..

لذا فقد أنصت بكل اهتمامه ..

وكل انتباهه ..

وتابع الجنرال السفاح ، بصرامته الغاضبة المخيفة :

ـ ومن هذا المنطلق ، تم تصميم المكان على نحو خاص للغاية ، فكل شيء هنا ، كما ولابد أنك قد لاحظت وأدركت ، يدار بصورة إليكترونية تكنولوجية تمامًا ، ولا يوجد به مخرج طوارئ .. فقط مخرج واحد ، يتم فتحه بشفرة ذات ثمانية خانات ، لا يحفظها هنا سواي ، ولكي يتم إدخالها ، لا بد وأن يتيقن جهاز خاص من هويتي ، عن طريق فحص بصمتي ، وقزحية عيني ، وبطاقة هوية مغنطيسية خاصة ، مع كلمة سر تخصني وحدي .. وأنت تدرك بالطبع أنه من المستحيل التحايل على جهاز متقن كهذا ، خاصة

وأن الإجراء الدفاعي الذي سيتخذه ، للرد على أية محاولة خداع ، هو أنه سيشغل جهازًا خاصًا ، يربط بين شبكة من القنابل القوية ، موزعة في المكان كله ، ولا يعرف خريطتها سوى السيد (X) وحده ، والجهاز سيدفعها كلها للانفجار ، ما لم يتم إدخال شفرة طوارئ أكثر تعقيدًا ، مكونة من تسعة أرقام .. لا يعلمها هنا أيضًا سواي ..

وتألقت عيناه ، وهو يضيف في استمتاع عجيب :

ـ بقي أن تعلم أن الإجراء نفسه يتم اتخاذه ، إذا ما توقفت كاميرات المراقبة ، أو تعطلت عن العمل لأي سبب كان ، لمدة دقيقة واحدة ، وهي ضعف المهلة التي سيمنحها لك جهاز التفجير ، قبل أن يتم نسف المكان كله ، ما لم يتم إدخال الشفرة التساعية الطارئة .

التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره عن آخره ، وعيناه تتألقان في نشوة مخيفة ، قبل أن يتابع :

ـ منذ هذه اللحظة ، سيوضع جهاز كمبيوتر في حجرتك هذه ، وهذا الكمبيوتر مزود بوسيلة اتصال مباشرة بشبكة الأنترنت ، على نحو لا يسمح لك بالاتصال سوى بموقع واحد فحسب ، وهو ذلك الذي

يخص السيد (X) .. ولقد استخدموا تكنولوجية متطورة فى هذا الشأن ، بحيث تنتقل كل إشارات الكمبيوتر إلى وحدة داخلية هنا ، توصلك بموقع السيد (X) وحده ، وترفض إيصالك بأى موقع آخر .. بل وسيتم ضخ غاز مخدّر فى حجرتك ، عند أول محاولة للاتصال بجهة أخرى ، على الرغم من أن هذا لن يفلح قط .

انتظر (أدهم) ، حتى انتهى الجنرال من حديثه ، ثم استرخى فى مجلسه باستهتار ، وهو يقول ساخراً :

ـ هل من تعليمات أخرى ؟!

أجابه الجنرال فى حزم :

ـ بالتأكيد .. فمنذ هذه اللحظة أيضاً ، لن يتم تقييد حريتك ، داخل حجرتك هذه .. إنها مزوّدة بوسائل الإعاشة الضرورية فحسب .. الطعام والشراب سيصلان عبر وسائل تكنولوجية ، كما يحدث فى كل مكان هنا .. لا اتصالات أو تعاملات مباشرة .. أية محاولة للتظاهر بالمرض ، أو التحايل للخروج من هنا ، سيتم تجاهلها تماماً ، وستتعرّض لعقاب مباشر وفورى .. إذ سيتم سريان تيار كهربى فى جدران

الحجرة وأرضيتها لمدة يومين كاملين ، مع كل محاولة تحايل ، وخلالهما سيتم منع الطعام والشراب تماماً .

هزّ (أدهم) رأسه ، قائلاً فى سخرية :

ـ من الواضح أن السيد (X) يجيد حماية استثماراته بالفعل .

أجابه الجنرال فى حزم صارم :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا .

مال (أدهم) إلى الأمام ، وهو يسأل فى حزم :

ـ وهذا يدفعنى إلى التساؤل : لماذا بذل كل هذا الجهد والمال لإنقاذ حياتى ، ما دام يهدّد بقتلى مع كل نفس يتردّد فى صدرى ، على هذا النحو ؟!

بدا صوت وملامح (بولارد) باردين كالثلج ، وهو يجيب :

ـ هذا شأنه .

ثم دار على عقبيه ، بأسلوب عسكرى محض ، وغادر الحجرة بخطوات ثابتة ، واسعة ، قوية ، وهو يشير إلى رجاله ، الذين تراجعوا خلفه فى بطء ، وهم يواصلون تصويب مدافعهم بكل تحفّز إلى (أدهم) ،

الذى ظلَّ هادئاً ساكناً تماماً فى مكانه ، حتى غادر آخرهم الحجرة ، وسمع صوت الرتاج القوى يُغلق من الخارج ..

وفى بطء ، عاد (أدهم) يرقد على فراشه ، ويعتمد برأسه على كفيه ، وهو يتطلَّع إلى آلات المراقبة مباشرة ..

كان الأمر يبدو معقَّداً بحق ..

وإلى أقصى حد ..

ولكنه حصل على كم لا بأس به من المعلومات ..

وخاصة تلك التى تتعلق بحجرته ..

فالأرض والجدران من مادة قابلة للتوصيل الكهربى ..

وكاميرات المراقبة لا تتجاوز الحد الأمن ، قبل دقيقة كاملة ..

ربما لا يدرى بعد كيف يمكنه الاستفادة من هذه المعلومات ..

ولكنه رجل مخابرات ..

وكل معلومة لها أهميتها ..

مهما بدت ضئيلة ..

وصغيرة ..

وتافهة ..

كل معلومة ..

هذه هى القاعدة الأولى فى علمه ..

وعمله ..

وحياته ..

وهناك قاعدة أخرى ، يؤمن بها تماماً ..

أنه لا يوجد نظام أمنى محكم ، مائة فى المائة ..

حتى النظم الإليكترونية ..

مهما بلغت تكنولوجيتها ..

وكل ما عليه هو أن يبحث ..

ويفكر ..

ويضع المعلومات إلى جانب بعضها البعض ..

حتى يبلغ تلك الثغرة ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، ستتغيَّر الأمور كلها ..

أو يتم نسف المكان كله ..

بلا رحمة .

* * *

٩ ـ الفريق ..

لم يُدِر مدير المخابرات العامة المصرية عينيه عن نافذة حجرته ، عندما دلف مساعده الأول إلى المكان ، وسأله وهو يواصل التطلُّع إلى الساحة الداخلية لمبنى الأمن القومى :

ـ هل من جديد من (فنزويلا) ؟!

أجابه مساعده فى اهتمام :

ـ (خالد) تم إسعافه ، والملحق الطبى لسفارتنا هناك يقول : إنه يصرّ على العودة إلى العمل ، وعلى أن إصابة فخذه بسيطة ، لا تستحق البقاء فى المستشفى ، فى وقت عصيب كهذا .

سأله المدير :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ (إبراهيم) ما زال فى (كومانا) ، يتابع الموقف هناك و (منى) و (نادية) وصلتا (كراكاس) ،

والتقيتا بالزنجى (بترو) و (جيهان) هناك ، وكلهم الآن فى (هيلتون كراكاس) ، يراجعون قائمة الأجانب ، عبر قناتنا السرية الخاصة ، على شبكة الانترنت .

سأله المدير :

ـ هل تتوقَّع أن يفيدهم هذا ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ من يدرى ؟! سيراجعون كل الصور والبيانات ، وتفاصيل جوازات السفر ، وربما وجدوا اسمًا مألوفًا ، أو هيئة محفوظة ، أو جواز سفر زائف .

تمتم المدير :

ـ نعم .. ربما .

ثم استدار إليه ، متسائلاً :

ـ وماذا عن منظمة (إكس) ؟!

أجابه فى اهتمام هذه المرة :

ـ الروس ألقوا القبض على بورى (بريماكوف) ، رئيس أركان القوات البحرية ، بتهمة التواطؤ والتورُّط فى عملية سرقة الغواصة النووية ، ومعلوماتنا الحالية تقول : إنها قد غادرت الميناء بأمر رسمى ،

للاشتراك فى مناورة وهمية ، ثم انقطعت أخبارها تمامًا بعدها .

عاد المدير إلى مكتبه ، وهو يسأل :

ـ ألم يتمّ العثور عليها بعد ؟!

هزّ مساعده رأسه نفيًا ، وقال :

ـ مطلقًا ... الروس استخدموا أقمارهم الصناعية ، وسفنهم الحربية ، المزوّدة برادارات عملاقة ، وغواصات نووية أخرى ، والأمريكيون جنّدوا كل تكنولوجية فحص ومسح الأعماق ، فى كل محيطات العالم ، حتى المحيط المتجمّد الجنوبى نفسه ، ولكن كل هذا لم يسفر عن شىء .

قال المدير فى توتر ، وهو يستقر خلف مكتبه :

ـ إنها لم تتلاش حتمًا ، ولم يتم نسفها أو إغراقها ، وإلا لرصدت كل هذه الأجهزة شيئًا ما .

أشار مساعده بيده ، قائلاً :

ـ أين ذهبت إذن ؟!

لوّح المدير بسبّابته ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا هو السؤال .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا :

ـ وأعتقد أن الجواب سيأتى من منظمة (إكس) تلك نفسها .

أجاب المساعد بابتسامة إعجاب :

ـ استنتاج موفّق يا سيدى ، وخاصة فيما يخص الجنرال (بريماكوف) ؛ فما إن اعتقله الروس ، حتى أعلنت منظمة (إكس) أنها ستطلق الصاروخ بعيد المدى ، ذا الرأس النووى المحدود ، نحو (موسكو) مباشرة ، ما لم يتمّ الإفراج عنه فورًا .

بدا اهتمام بالغ فى وجه المدير وصوته ، وهو يسأل :

ـ وماذا كان رد الروس ؟!

أجابه فى حزم :

ـ لقد رفضوا إطلاق سراحه ، وتحدوا المنظمة أن تنفذ تهديدها ، وقال وزير دفاعهم : إن تنفيذ ذلك التهديد سيعنى أن تفقد المنظمة أقوى أسلحتها الحالية، وأن تعلن موقع الغواصة لكل أجهزة البحث أيضًا .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يتراجع فى مقعده ، متمتمًا :

ـ رد جرئ ومنطقى ، ولكننى أخشى رد المنظمة

فى الواقع . ففى مثل هذه المواقف ، وعندما يتعلق الأمر بمحاولة إثبات الوجود ، قد يقدم البعض على حماقات خرقاء ، دون تحديد أو تقدير لعواقبها .

وافقه مساعده بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ أشاركك قلقك حقًا هذه المرة يا سيدى .

تطلع إليه المدير لحظة ، قبل أن يسأله فى حزم :

ـ ترى أتشاركنى أيضًا قناعتى بأن تلك المنظمة وراء اختفاء (ن ـ ١) ؟!

صمت الشاب بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه ، مجيبًا :

ـ إنه احتمال وارد ، ولكن حتى هذه اللحظة ، لا توجد أية أدلة ترجح أو تنفى هذا .

تطلع إليه المدير لحظة أخرى ، ثم عاد يعتدل فى مجلسه ، قائلاً :

ـ عندما تقضى أكثر من ربع قرن فى مهنتنا هذه ، سيصبح الأمر بالنسبة لك ، أكثر من مجرد أدلة ترجح أو تنفى .. سيتحول إلى غريزة أشبه بغريزة الحيوانات المفترسة .. غريزة تقودك إلى الطريق الصحيح ، دون أن تدرى حتى لماذا تفعل هذا ..

الأسباب والمبررات ستكون هناك ، فى عقلك الباطن ، ولكنك لن تدركها فى حينها قط .. لذا ، فسيكون عليك عندئذ أن تتبع غريزتك ومشاعرك ، ما دام ليس هناك ما يتعارض منطقيًا معها .

استمع إليه الشاب فى اهتمام ، ثم سأله :

ـ وما الذى تنبئك به غريزة السنوات الطوال هذه يا سيدى ، بشأن منظمة (إكس) .. هل سيطلقون صاروخهم نحو (موسكو) ؟!

هز المدير رأسه ، قائلاً :

ـ ليس قبل أن يظفروا بخبطة جديدة ، تدير رءوس العالم ، وتفجر الذهول والانبهار فى أعماق الجميع .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص المباشر على مكتبه ، فاختطف سماعته بحركة سريعة ، وقال :

ـ ماذا هناك ؟!

ارتفع حاجباه ، واتسعت عيناه فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

ـ ومتى حدث هذا ؟!

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، على نحو يؤكد أنه يتلقى أخبارًا عجيبة للغاية ، قبل أن يقول فى حزم عصبى :



انطلقت أصابع (جيهان) تعمل بسرعة على أزرار الكمبيوتر ، داخل حجرة الفندق ..

ـ أريد كل المعلومات المتاحة ، وبأقصى سرعة .

وأنهى الاتصال بقسم المعلومات ، فسأله مساعده فى قلق شديد :

ـ هل أطلقوا صاروخهم على (موسكو) بالفعل ؟!

رفع المدير عينيه إليه ، قائلاً فى حزم :

ـ بل ضربوا ضربتهم الثانية .

ازدرد المساعد لعابه فى صعوبة ، وهو يسأل :

ـ وما الذى فعلوه بالضبط ؟!

أشار المدير بيده ، مجيبًا فى توتر بالغ :

ـ اختطفوا مقاتلة أمريكية .. أحدث مقاتلة فى العالم كله .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا :

ـ مزوَّدة بستة صواريخ ، ذات رءوس نووية محدودة .

واتسعت عينا المساعد عن آخرهما ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

بحق ..

* * *

انطلقت أصابع (جيهان) تعمل بسرعة ، على أزرار الكمبيوتر ، داخل حجرة الفندق ، وهى تقول :

- البحث لم يسفر عن أية جوازات سفر زائفة .. الأرقام كلها سليمة ، وكذلك أسماء وأوصاف أصحابها ، والتأشيرات كلها صالحة حقيقية ،على نحو مؤكد .

سألتها (نادية) فى اهتمام :

- هل راجعت صور أصحاب الجوزات ؟

أجابتها (جيهان) :

- إننى أدخر هذا للنهاية ، فهو يستغرق وقتًا أطول.

قالت (منى) فى اهتمام ، وهى تراقب البيانات على الشاشة :

- راجعى تواريخ الحصول على التأشيرات .

سألتها (نادية) ساخرة :

- وأى فارق سيصنعه هذا أيتها العبقرية ؟!

أجابتها فى هدوء واثق :

- هل تصورت أن المسئول عن اختفاء (أدهم) سيقضى أسبوعين من الاستجمام هنا ، قبل أن يحين موعد ضربته ؟!

انعقد حاجبا (نادية) ، وهى تقول :

- كلا .. لست أعتقد هذا .

نقلت (جيهان) الفكرة إلى الكمبيوتر فى سرعة ، قبل أن تقول فى حماس واضح ، وانفعال ملحوظ :

- فكرة عبقرية يا (منى) .. لقد اختصرت هذه الفكرة العدد المشتبه فيه إلى عشرة أشخاص فحسب .

تمتمت (نادية) فى غيظ مكتوم :

- كنت أعلم أنها فكرة عبقرية .

ثم استطردت فى صرامة :

- أعتقد أنك تستطيعين مراجعة صور هؤلاء العشرة .

أجابتها (جيهان) :

- بالطبع .

كان الألم قد بدأ ينتشر فى ظهرها ، بامتداد عمودها الفقرى ، إلا أنها واصلت عملها فى اهتمام ، متجاهلة الألم ، خاصة وأن الصور بدأت تظهر متراصة على الشاشة ، و ....

« مستحيل ! »

هتفت (منى) بالكلمة ، وهى تقفز من مقعدها بانفعال جارف ، أثار دهشة زميلتيها ، فالتفتتا إليها فى حيرة ، وتساءلت (نادية) :

- ماذا حدث ؟!
أشارت (منى) إلى شاشة الكمبيوتر ، هاتفة :
- هل يمكنك تكبير هذه الصورة ؟!
تطلعت المرأتان فى دهشة إلى الصورة ، التى أشارت إليها منى ، وغمغمت (جيهان) :
- بالتأكيد .
ضغطت عدة أزرار ، فبدأت الصورة فى الظهور على الشاشة بحجم أكبر ، فى نفس الوقت الذى سألت فيه (نادية) (منى) :
- ماذا هناك ؟! لماذا أدهشتك رؤية هذا الرجل ؟!
أجابتها (منى) فى توتر :
- لم تدهشنى فحسب ، وإنما أصابتنى بالذهول أيضًا .
سألتها (جيهان) هذه المرة :
- ولماذا ؟!
هزت (منى) رأسها فى قوة ، وكأنها تنفض الأمر كله عن ذهنها ، قبل أن تقول فى توتر بالغ :
- لأنه من المستحيل أن يكون هذا الشخص قد وصل إلى (كراكاس) ، خلال الأسابيع الثلاثة الماضية .

ألقت (جيهان) نظرة على شاشة البيانات ، قائلة :
- ليس خلال الأسابيع الثلاثة الماضية ، ولكنه وصل صباح أمس الأول بالتحديد ، وحصل على تأشيرة (فنزويلا) من (تل أبيب) ، منذ خمسة أيام فقط .
هزت (منى) رأسها فى قوة ، قائلة فى إصرار :
- مستحيل ! مستحيل ! مستحيل !!
سألتها (نادية) فى حيرة أكبر :
- ولماذا مستحيل ؟!
أجابتها فى حدة :
- لأنه ليس من المفترض أن يكون على قيد الحياة .
حدقت المرأتان فى وجهها بدهشة بالغة ، وعادتا تنقلان بصرهما إلى الصورة ، التى اكتملت أو كادت ، على شاشة الكمبيوتر ، وغمغمت (جيهان) فى حذر :
- إنه إسرائيلى الجنسية .. جواز سفره يقول : إنه تاجر عاديات وآثار قديمة ، واسمه (برادماير) ؛ و ...
قاطعتها (منى) فى حزم :
- إنه اسم زائف .
سألتها (جيهان) :

- هل تعرفين اسمه الحقيقى إذن ؟!

انعقد حاجبا (منى) فى شدة ، وهى تحدق فى الصورة ، التى اكتملت تمامًا على الشاشة ، وعقلها يسترجع ذكريات قديمة ..

وعنيفة ..

ذكريات ارتبطت بالعنف ..

والشراسة ..

والقسوة ..

والجليد ..

والجبال ..

والنيران ..

والرصاصات ..

والدم ..

« ما اسمه الحقيقى يا (منى) ؟! »

ألقت (نادية) السؤال على (منى) فى عصبية ، فالتفتت إليها هذه الأخيرة ، وهمت بإجابة السؤال ، و ....

وفجأة ، انعقد حاجباها فى شدة ، وسرت فى جسدها ارتجافة واضحة ، وهى تحدق فى نقطة ما ، عند شرفة الفندق ، خلف (نادية) و (جيهان) .

نقطة انبعث منها صوت صارم بارد كالثلج ، يقول بلغة عربية ، وبلهجة شامية ذات لكنة :

- دعانى أجيب أنا سؤالكما .

استدارت (نادية) و (جيهان) فى سرعة ، إلى مصدر الصوت ، وسرت فى جسديهما الارتجافة نفسها ..

فهناك ..

عند الشرفة ..

كانت هناك فوهة مسدس قوية ، موجهة إلى رءوسهم مباشرة ..

وخلفها كان يقف نفس الرجل ، الذى تظهر صورته على شاشة الكمبيوتر ، بوجهه الصارم البارد ..

الرجل ، الذى بدا لـ (منى) وكأنه قد انبعث بمعجزة ما ، من عالم الموتى ..

رجل (الموساد) الإسرائيلى ، الذى يحمل اسم (موشى) ...
(موشى حاييم دزرائيلى) .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله
ويليه الجزء الثانى بإذن الله
(الصحوة)